

التيسير اللغوي في الخطاب القرآني الكريم

The Linguistic Facilitation in Qur'anic Discourse

إعداد الطالب

محمد حميدي حمدان الشعرات

(401110156)

إشراف الدكتور

محمد عبدالله أبو الرب

خطة رسالة مقدمة لاستكمال الحصول على درجة الماجستير في

اللغة العربية وآدابها

قسم اللغة العربية وآدابها

كلية الآداب و العلوم

جامعة الشرق الأوسط

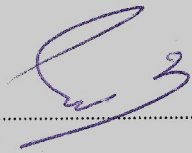
1435 هـ / 2014 م

التفويض

أنا محمد حميدى حمدان الشعرات ، أفوض جامعة الشرق الأوسط
بتزويد نسخ من رسالتي ورقياً و إلكترونياً للمكتبات ، و المنظمات ،
و الهيئات ، و المؤسسات المعنية بالأبحاث و الدراسات العلمية عند طلبها .

الاسم : محمد حميدى الشعرات .

التاريخ : 11 / 1 / 2014 م .

التوقيع : 

قرار لجنة المناقشة

نوقشت هذه الرسالة، وعنوانها : التيسير اللغوي في الخطاب القرآني الكريم

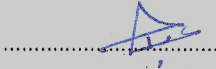
وأجيزت بتاريخ : 11 / 1 / 2014 م .

التوقيع :

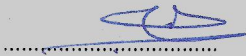
أعضاء لجنة المناقشة :



1. الأستاذ الدكتور: عبدالرؤوف زهدي مصطفى (ممتحنا داخليا).



2. الأستاذ الدكتور: عبدالعزيز موسى علي (عضوا مناقشا).



3. الأستاذ الدكتور: محمد عبدالله أبو الرب (عضوا مشرفا).

شكر و تقدير

الحمد لله الذي وقفني لاختيار هذا الموضوع . و الحمد لله الذي أعانني على إتمام فصوله على الرغم من تقصيري في إعطائه الجهد اللازم ، و الوقت الكافي . و الحمد لله الذي أذن لي بالمساهمة في خدمة كتابه العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه .

و الصلاة و السلام على خير من قرأ كتاب الله تعالى ، و خير من عمل به ، و خير من دعا إليه ، و جاهد به جهادا كبيرا ليكون للعالمين بشيرا و نذيرا . اللهم صلّ و سلم و بارك على سيدنا محمد وآله و صحبه .

و لا أنسى شكر من كان خير معين في تعليمي ، و توجيهي ، و نصحي منذ بداية دراستي ليخرج هذا البحث على الشكل الذي يليق بموضوع هذا البحث ، خاصا منهم : المشرف الذي تشرفت بإشرافه الدكتور محمد عبدالله أبو الرب .

و أساتذتي الذين سعدت بعلمهم ، الأستاذ الدكتور سعود عبدالجابر ، و الدكتورة جمانة السالم ، و الدكتورة سهى نعجة .

و الشكر الجزيل لعضوي لجنة المناقشة الأستاذ الدكتور عبدالرزوق زهدي ، و الدكتور عبدالعزيز درويش اللذين قدما لي النصح و التصوير لما بدر مني من سهو أو خطأ .

و الشكر لكل من دعا لي بالتوفيق و النجاح من والد ، و والدة ، و أخ ، و أخت ، و صديق .

اللهم اجعل هذا العمل صالحا و لوجهك خالصا .

قائمة المحتويات

رقم الصفحة	الموضوع
أ	الغلاف
ب	التفويض
ج	قرار لجنة المناقشة
د	شكر و تقدير
هـ	قائمة المحتويات
ز	الملخص باللغة العربية
ح	الملخص باللغة الإنجليزية
الفصل الأول : الإطار العام للدراسة	
1	مقدمة الدراسة
4	مشكلة الدراسة
4	أهداف الدراسة
4	أهمية الدراسة
5	مصطلحات الدراسة
6	الإطار النظري
7	الدراسات السابقة
9	منهجية الدراسة
9	الطريقة الإجرائية
10	مدخل
الفصل الثاني : مظاهر التيسير اللغوي في إطار الألفاظ	
12	- المظهر الأول : اختيار الألفاظ السهلة المألوفة، و ترك الوحشي النادر .
30	- المظهر الثاني : التكرار .

50	- المظهر الثالث : نزول القرآن الكريم على سبعة أحرف .
59	- المظهر الرابع : نزول القرآن الكريم بلغة قريش.
65	- المظهر الخامس : الاقتصاد في الألفاظ و وفرة المعاني .
75	- المظهر السادس: القرآن الكريم يفسّر بعضه بعضا ، و يدلّ بعضه على بعض.
الفصل الثالث : مظاهر التيسير اللغويّ في إطار المعاني	
83	- المظهر الأوّل : الإطناب في المعاني .
88	- المظهر الثّاني : التّصوير القرآنيّ .
الفصل الرابع : مظاهر التيسير اللغويّ في إطار الشّكل	
97	- المظهر الأوّل : تسوير السّور .
102	- المظهر الثّاني : الفاصلة القرآنيّة و رؤوس الآي و علامات الوقف و الوصل .
116	- المظهر الثالث : الطّول و القصر في الآيات و السّور .
120	- المظهر الرابع : التّنقيط و الشّكل .
123	- المظهر الخامس : أحكام التّجويد .
129	الخاتمة
131	المصادر و المراجع

التيسير اللغوي في الخطاب القرآني الكريم

محمد حميدي الشعرات

الملخص

جاءت هذه الدراسة خدمة لكتاب الله تعالى ، و بحثا في علومه الشريفة . و قد اختصّ الباحث من هذه العلوم ما كان له مساس بالجانب اللغوي . فقد بدا للباحث في لغة القرآن الكريم مظاهر متعدّدة من مظاهر التيسير اللغويّ الذي أراد الله تعالى في كتابه العزيز ليسهل على الناس تعلّم أحكام هذا الدين في أيسر لفظ ، و أوضح معنى .

و هذه الدراسة تتبّع مواطن التيسير اللغويّ في الخطاب القرآنيّ الكريم التي ظهرت في ألفاظه ، و معانيه ، و شكله للتمييز بين لغة الخطاب الميسرّ و الخطاب الغامض ، و أثر الخطاب الميسرّ في إصابة الغاية من الخطاب ؛ إذ يكون هذا النوع من الخطاب أكثر قبولا لدى المتلقّي مهما تكون حاله .

كما تبين هذه الدراسة أثر سهولة الخطاب القرآنيّ الكريم في تحصيل الفصاحة العربيّة التي لا تعني التشدّق في الكلام و التّعريب به . و ذلك من خلال تحليل مضمون الآيات القرآنيّة . و توصي هذه الدراسة بالبحث في مظاهر التيسير النحويّ و الصرفيّ في كتاب الله تعالى .

The Linguistic Facilitation in Quranic Discourse

Mohammad .H. Sha'rat

Abstract

This study is intended to service the holy Quran, in search of its noble sciences. Researcher select from these sciences what regarded to the linguistic aspect. It was shown to the researcher in the language of Quran many forms of linguistic facilitation which is found in the Quran to facilitate learning Quran on people by choosing the easiest words and semantic.

This study follows the linguistic facilitation in Quranic discourse which appears in its words, meanings and shape, to distinguish between simple discourse and difficult discourse, and to appear the effect of simple discourse to get the target of discourse so this kind of discourse is more acceptable to the receiver in whatever his case was.

This study shows the effect of simple Quranic discourse in getting the Arabic eloquence, which doesn't mean rant in speech and speaking strangely, through analyzing the content of Quranic verses.

This study recommends search in grammar facilitation in holy Quran.

الفصل الأول

مقدمة

لقد استوقف الباحث آيةً في كتاب الله تعالى في سورة القمر، و هي قوله تعالى :

﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴾ القمر: 17 . و قد تَكَرَّرَت هذه الآية في هذه السورة

أربع مرّات . و صار الباحث ينظر في معنى التيسير ، و كيف يكون هذا التيسير ؟ و لما رجع إلى تفسير القرآن العظيم لابن كثير (ت 774هـ) ظهر من معاني هذا التيسير كما بيّنه ابن كثير بقوله : " يسرنا لفظه ، و سهلنا معناه " (1) ، و طفق الباحث يبحث عن مظاهر هذا التيسير في كتب اللّغة فلم يجد مؤلفاً خاصّاً، و في كتب الشريعة فلم يجد أثراً قاصّاً ، لذا دفعه الواجب للبحث عن مظاهر هذا التيسير في كتاب الله تعالى ، مستعيناً به ، و راجياً منه التوفيق و العون .

و لما كان التيسير سمة اخُصَّت به الشريعة تكريماً و تشريفاً ، و منها ارتضاه ربّ العزة لخاتمة الأمم تسهيلاً و تخفيفاً ، جاءت لغة القرآن مؤكّدة لهذا النهج في يسرها و وضوحها . و قد كان هذا شأن نبيّ الأمة عليه الصلّاة و السّلام في غالب أقواله ؛ فهو القائل : " ... و إنّ أبغضكم إليّ ، و أبعدكم منّي مجلساً يوم القيامة ، الثرثارون ، و المنتشدقون ، و المتفهبون " (2).

و قد فسّر الإمام النوويّ (ت 676 هـ) معنى هذا الحديث بقوله : " المتشدّق :

المتطاول على الناس بكلامه ، و يتكلّم بملء فيه تفاصحاً و تعظيماً لكلامه . و المتفهب :

أصله من الفهق ، و هو الامتلاء ، و هو الذي يملأ فمه بالكلام ، و يتوسّع فيه ، و يُغرب به

¹ ابن كثير، أبو الفداء عماد الدّين إسماعيل بن عمر (ب.ت). تفسير القرآن العظيم، الإسكندرية: دار البصيرة ، ج4 : 391 .

² الترمذيّ، أبو عيسى محمّد بن عيسى(1996). سنن الترمذيّ (الجامع الكبير)، تحقيق: بشّار عوّاد معروف، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ج3 : 545.

تكبراً ، و ارتفاعاً ، و إظهاراً للفضيلة على غيره " (1). و هذه دعوة صريحة من رسول الله عليه الصلاة والسلام إلى تيسير لغة الخطاب التي كان تغريبها و توحشها مأثراً يعمد إليه فحول الشعراء و الخطباء تفاصحاً و تعاضماً في يوم كان اللسان فيه صناعة ، والمنطق بضاعة .

و ما عاد عجباً أن يقف العرب كلهم عاجزين عن الإتيان بمثله على الرغم من سهولته و يسره . و لو جاء غريباً وحشياً لتحججوا بذلك في عجزهم عن مجاراته ، و ما ذاك إلا لأنه تنزيل الحكيم الحميد .

و قد ظهر للباحث من خلال القراءة في الكتاب العزيز ، والنظر إلى إشارات علماء اللغة و التفسير بعض هذه المظاهر التي تدل على تيسير اللغة على السامع . فمن جانب الألفاظ ، سهولتها و بعدها عن الوحشيّ والسوقيّ من الكلام ، وتكرار الآيات المتشابهة لفظاً ومعنى ، ونزول القرآن الكريم على سبعة أحرف ، والعناية الشديدة باختيار الأصوات المناسبة للمعاني ، وجمال وقعها في النفس . و من جانب المعاني ، اختيار الصور الصادقة اللاصقة بحياة الإنسان ، ومخاطبة العقل ، وترك المبالغات التي تبعد عن الواقع . و من جانب الشكل ، دور الفواصل القرآنيّة في تسهيل الفهم والحفظ ، والرسم القرآنيّ الدالّ على اهتمام العلماء بتسهيل قراءة القرآن وفهمه ، و أثر قصر بعض السور وطولها في ذلك .

و إذا عرفنا أنّ هذا القرآن الكريم متعبّد بتلاوته ، و واجب على المسلم قراءته ، أدركنا سرّ هذا التيسير للعجم و العرب على مرّ الزمان . و لا يخطر في بال أحد أنّ تيسير لغة القرآن قادم في إعجازه ، أو حاطّ من علوّ شأنه ، بل إنّ هذه الميزة قد زادت في إعجاز القرآن الكريم وبلاغته . و قد قسمّ البحث إلى أربعة فصول ، و هي :

¹ . النّوّي، أبو زكريّا يحيى بن شرف(1991). رياض الصّالحين من كلام سيّد المرسلين، تحقيق: عبدالعزيز رباح و أحمد الدّقاق، الرّياض: مكتبة دار السّلام، ص 233.

الأول : فيه مقدّمة الدّراسة ، و مشكلتها ، و أهدافها ، و أهمّيّتها ، و مصطلحاتها ، و الإطار

النّظريّ ، و الدّراسات السّابقة ، و منهجيّة الدّراسة ، و الطّريقة الإجماليّة ، و المدخل .

الثّاني : فيه مظاهر التّيسير اللّغويّ في إطار الألفاظ .

الثّالث : فيه مظاهر التّيسير اللّغويّ في إطار المعاني .

الرّابع : فيه مظاهر التّيسير اللّغويّ في إطار الشّكل .

و في نهاية البحث جاءت الخاتمة و التّوصيات .

مشكلة الدراسة و أسئلتها :

سيحاول البحث الإجابة عن هذه الأسئلة :

- ما وجوه التيسير اللغويّ في كتاب الله تعالى ؟
- ما أثر القراءات القرآنيّة في التيسير اللغويّ ؟
- ما أثر القرآن الكريم في ألفاظ اللّغة العربيّة ؟
- كيف كان تيسير اللّغة في القرآن الكريم دليلا على بلاغته ؟

أهداف الدراسة :

تهدف هذه الدراسة إلى :

1. البحث في أشكال التيسير اللغويّ في لغة القرآن الكريم .
2. تتبّع جوانب سهولة لغة القرآن الكريم و اختلافها عن لغة الشّعْر الجاهليّ و نثره من خلال دراسة الآيات القرآنيّة ، و بيان أقوال علماء اللّغة و التفسير في ذلك .
3. تحليل بعض النّصوص القرآنيّة الكريمة وبيان أثر التيسير اللغويّ في بلاغة القرآن الكريم .

أهميّة الدراسة :

هذه الدراسة تتبّع مظاهر يسر لغة القرآن الكريم ، وترشد القارئ إلى الاستفادة من الرّبط

بين نتائج هذه الدراسة وفهم لغة القرآن الكريم . كما أنّها ترفد علوم القرآن الكريم برافد جديد هو

بيان جوانب التيسير اللغويّ في القرآن الكريم .

مصطلحات الدراسة :

التيسير اللغوي : مصدر الفعل (يسر) وهو من التسهيل ، وفي لسان العرب " تيسر "

الشيء واستيسر تسهل " (1) .

والتيسير اللغوي : وهو ما بينه ابن كثير (ت 774 هـ) في تفسير قول الله تعالى ﴿ وَلَقَدْ

يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴾ القمر: 17 ، بقوله : " يسرنا لفظه ، وسهلنا معناه " (2) .

وقد جاءت لغة القرآن الكريم سهلة ميسرة بعيدة عن الغرابة و السفافة ، يستطيع فهمها العالم و الأمي ، و الكبير والصغير ، و العربي و العجمي .

و الخطاب : وهو " كل كلام تجاوز الجملة الواحدة ، سواء كان مكتوبا أو ملفوظا " (3) .

و في الخطاب القرآني تظهر أشكال التيسير اللغوي تبعا لهذا التعريف في الإشارات المعلنة وغير المعلنة التي يمكن أن تدلّ عليها معاني الآيات الكريمة . ويشمل ذلك الألفاظ ، والمعاني ، والأسلوب ، والشكل .

أما تيسير اللغة في نظر الباحث فهو سهولة ألفاظ الكتاب الكريم وقربها من السامع

مهما اختلفت حاله سواء أكان عالما أم أميا . وسهولة فهم آياته الكريمة التي جاءت مأنوسة غير وحشية في معان قريبة من حياته التي يعيشها .

¹ . ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم(ب.ت). لسان العرب، بيروت: دار صابر، (مادة: يسر) .

² . ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج4 : 391 .

³ . الزويلي، ميجان، و البازعي، سعد(2000). دليل الناقد الأدبي، ط 2، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي،

و الخطاب القرآنيّ الكريم هو كلّ ما يمكن أن يكون طريقاً لبيان مراد الله سبحانه و تعالى في كتابه العزيز من ألفاظ ، و معان ، و شكل جاء توقيفاً من الله تعالى ، أو رسم اتّفق عليه العلماء في كتابة المصحف الشريف .

الإطار النظريّ و الدّراسات السّابقة :

موضوع التّيسير اللّغويّ في القرآن الكريم لم يُخصّص بدراسة مستقلة قديماً و لا حديثاً ، و إنّما وجد بعض التّعريجات من علماء اللّغة و الشّريعة و دارسيهما على بعض تلك المظاهر . كما وجد الباحث بعض المواضيع التي تتّصل بموضوع الدّراسة في كتب القدماء ، و بعض دراسات المحدثين . و يتّضح ذلك في جهود هؤلاء العلماء ، و منهم :

ابن جنّي (ت 392 هـ) (1990). في خصائصه ، إذ يفرد فيها أبواباً خاصّة بلغات العرب و حجّيتها ، و يذكر القراءات القرآنيّة و تعدّدها . و يدلّل مرّات عدّة على فصاحة ألفاظ القرآن الكريم و بلاغته ، و بيان مواطن ذلك في القرآن الكريم .

و السيّوطيّ (ت 911 هـ) (ب. ت .) . في مزهره الذي يورد فيه الفصيح من اللّغات ، و الرّديء ، و المذموم ، و الوحشيّ ، و الغريب ، و النّادر . كما يبحث في لغة القرآن الكريم و يثبت عربيّته ، و أنّ ليس فيه شيء بغير لغة العرب . و يورد كذلك الألفاظ الإسلاميّة و أثر الإسلام فيها .

و الباقلائيّ (ت 403 هـ) (ب . ت) . في كتابه إعجاز القرآن الكريم ، و فيه باب في سهولة سبيل القرآن الكريم ، و خروجه عن الوحشيّ المستكره ، و الغريب المستنكر ، و بعده عن التّصنّع و التّكلّف . و باب فيما زاد الإفهام به على الإيضاح .

كما أفاد الباحث كثيرا من كتاب الرّافعيّ (2005). تاريخ آداب العرب ؛ إذ حوى أبحاثا في القراءات ، و لغة القرآن الكريم ، و الغريب ، و أسلوب القرآن الكريم ، و استجماعه لدرجات الفهم في أسلوب واحد ، و الحروف والجمل ، و التّرتيل و الفواصل .

وجاء في كتاب مكرم (1995) . اللّغة العربيّة في رحاب القرآن الكريم استقصاء للألفاظ المعرّبة ، وألفاظ القبائل العربيّة التي جاءت في لغة القرآن الكريم ، مؤكّدا أنّ لغة القرآن وسعت كثيرا من لغات القبائل العربيّة تسهيلا على النّاس في قراءة القرآن الكريم . إلا أنّ المؤلّف لم يخصّص موضوع التّيسير اللّغويّ بدراسة خاصّة .

الدّراسات السّابقة :

عثر الباحث على بعض الدّراسات الحديثة ذات الصّلة بهذا الموضوع ، إلا أنّها كانت تعالج مواضيع غير موضوع التّيسير اللّغويّ ، منها :

ما ذكره عبدالرحيم (1973) . في دراسته (لغة القرآن الكريم) ، و جاء فيها البحث في لغة العرب التي نزل بها القرآن الكريم ، و سبب اختلاف القراءات ، و استعمال القرآن الكريم للغة العرب ، و ما جاء به من فصاحة و بلاغة و معان جديدة طوّر من أجلها معاني الألفاظ . و في هذه الدّراسة يذكر الباحث أثر تعدّد القراءات في التّيسير و السّعة ، إذ إنّ الله

سبحانه و تعالى وسّع على العرب في قراءة القرآن بالحرف الذي يسهل عليهم قراءته ، غير أنّ الباحث لم يفرد هذا التسهيل في دراسة خاصة كما سيفعل هذا البحث .

كما عالج (بني دومي) (1999) . في دراسته (التكرار اللفظي في لغة الحوار القرآني) بعض ما يتصل بدراستنا كبحنه في أشكال التكرار في القرآن الكريم : لفظي تام ، و لفظي مع التقديم و التأخير ، و لفظي مع الإبدال ، و لفظي مع الزيادة و النقصان . و قد بين الباحث بعض آثار التكرار في القرآن الكريم ، إلا أنه لم يذكر أثر التكرار في التيسير اللغوي .

و بحث الشريعة (2006) . في دراسته الموسومة بـ (المشكل و أثره في منهج فهم القرآن الكريم) في المشكل الذي يتعلّق بقضايا اللغة ، و فيها دراسة لدلالة صيغ الألفاظ ، و التقديم و التأخير ، و المشاكلة ، و التعارض ، و الفاصلة القرآنية .

و قريبا من موضوع التيسير اللغويّ درس سلطاني (2006) . لغة القرآن الكريم ، و في هذه الدراسة (الكشف اللغويّ عن التعدّد اللّهجيّ في لغة القرآن) عالج الباحث مجيء القرآن الكريم على سبعة أحرف تسهيلا و تيسيرا على الأمة في قراءة القرآن الكريم . كما درس الاحتجاج برسم المصحف العثمانيّ ، و تأصيل الألفاظ القرآنية إلى لهجاتها العربيّة من منظور دلاليّ . و أخيرا وضع جدولا يحصي فيه الألفاظ المعرّبة و الدّخيلة في القرآن الكريم .

كما بين الأكوّع (2007) . في دراسته (أثر الإسلام في التوحيد اللغويّ) أثر الإسلام في توحيد اللغة ، و ترك اللّغات العديدة ذات العيوب الصّوتية ، و إهمالها . و قد نفتت دراستنا مع

دراسته في بحثه في نزول القرآن الكريم على سبعة أحرف ، إذ بيّن الباحث أنّ الحكمة من تعدّد القراءات هي التيسير و التخفيف على الأمة في قراءة القرآن الكريم .

و هذه الدراسات كلّها لم تجعل لتيسير اللّغة بابا خاصا ، و إنّما جاء التيسير اللّغويّ عرضا في ثنايا دراساتهم . و ما كان من هذا البحث إلا أن أفرد التيسير اللّغويّ في القرآن الكريم بدراسة مستقلة يظهر فيها أشكال هذا التيسير .

منهجية الدراسة :

اتبّع الباحث في هذه الدراسة منهج الوصف التحليلي لاستخراج الشواهد الدّالة على مظاهر التيسير اللّغويّ في القرآن الكريم . فبعد الاطلاع على كتب اللّغة و الشريعة ذات الصّلة بالدراسة دلّل الباحث على تلك المظاهر من خلال استقراء آيات القرآن الكريم و تحليل مضمونها ، مسترشدا بأراء علماء اللّغة و الشريعة قداماء و محدثين .

الطريقة الإجرائية :

ستقع هذه الدراسة في أربعة فصول :

الأول : فيه المقدّمة ، و مشكلة الدراسة ، و هدف الدراسة ، و أهميّة الدراسة ، و مصطلحات الدراسة ، و الإطار النظريّ والدراسات السابقة ، و منهجية الدراسة ، و الطريقة الإجرائية .

الثاني : فيه مظاهر التيسير اللّغويّ في إطار الألفاظ .

الثالث : فيه مظاهر التيسير اللّغويّ في إطار المعاني .

الرابع : فيه مظاهر التيسير اللّغويّ في إطار الشّكل .

مدخل

دعوة الإسلام إلى التيسير .

من المعلوم أنّ الإسلام يدعو إلى التيسير في شؤون الحياة كلّها ، في العبادات و المعاملات . و كان الرسول عليه الصلّاة و السّلام المثل الأعلى في انتهاج هذا السبيل ، و هو القائل : " يسرّوا و لا تعسّروا ، و بشرّوا و لا تنفّروا " (1) . و تقول أمّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها : " ما خير رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بين أمرين إلّا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثما " (2) . بل إنّ رسول الله صلّى الله عليه و سلّم كان يسعى إلى رفع المشقّة والحرّج عن المسلمين في معاملاتهم و يقول : " اللهمّ من ولي من أمر أمتي شيئا فشقّ عليهم فاشقق عليه ، و من ولي من أمر أمتي شيئا فرفق بهم فرفق به " (3) .

و كذلك جاءت أحكام الشريعة يسرة سهلة ، لا تحمّل الإنسان ما لا طاقة له به ، فمن لم يستطع الصلّاة قائما صلّى قاعدا . و من لم يستطع الصّوم فعليه الفدية . و الحجّ واجب على من استطاع إليه سبيلا .

و ما كان ذلك إلّا رحمة من الله تعالى ، و ميزة اختصّ بها خاتمة الأمم ، و دينها الذي جاء كافةً للنّاس أحمرهم ، و أسودهم ، و عربيّهم ، و عجميّهم . و تبعا لذلك فقد جاءت لغة هذا الدّين - اللّغة العربيّة - يسرة سهلة يستطيعها العالم و الجاهل ، و الصّغير و الكبير ، في أطف أفاظها ، و أحلى معانيها ، و أبهى صورها ، و أبلغ نظم عرفته اللّغة منذ كانت .

¹ البخاريّ، أبو عبدالله محمّد بن إسماعيل (ب. ت .) . صحيح البخاريّ، بيروت: دار إحياء التّراث

العربيّ، ج1 : 27 .

² . السابق، ج4 : 230 .

³ . مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج (1987) . مختصر صحيح مسلم، بيروت: دار ومكتبة

الهلال ، ص 276 .

و إنّ من عرف لغة العصر الجاهليّ التي جاء القرآن الكريم في زمانها ليعجب كلّ العجب من اختلاف ما بينهما ، فكم من لفظ غريب وحشيّ قد أطرح ! و كم من معنى مستبرد قد هُجر ! و كم من لغة معيبة من لغات العرب قد أهملت ! و ما عادت اللّغة حبيسة النّقاليد الجاهليّة في بناء فنونها الأدبيّة ، و التزام طريق واحد في أقوالها الخطابيّة . و قد بيّن ذلك الوليد بن المغيرة حين سمع القرآن الكريم ، إذ لم يملك نفسه في إبداء العجب و الدهشة من بليغ بيان القول ، فقال لأبي جهل : " و الله ما فيكم رجل أعلم بالأشعار منّي ، و لا أعلم برجزه ، و لا بقصيده منّي ، و لا بأشعار الجنّ ، و الله ما يشبه هذا الذي يقول شيئاً من هذا . والله إنّ لقوله الذي يقول حلاوة ، و إنّ عليه لطلاوة ، و إنّ له لمثمر أعلاه ، مغدق أسفله ، و إنّّه ليعلو و ما يعلى ، و إنّّه ليحطم ما تحته " (1) .

و النّاطر في القرآن الكريم يجده قد غير في لغة الخطاب السائد آنذاك في حياة العرب ، و لا يجد فيه الغزل الفاحش ، و لا الهجاء المقذع ، و لا المدح الكاذب ، و لا العصبية الجاهليّة ، و لا رثاء النّائحين ، و لا كهانة الكاهنين . و كما كان التّغيير في المضمون كان التّغيير في الشّكل ، فنجد أنّ القرآن الكريم ليس كالشّعر في بحوره و قوافيه ، و ليس كالنثر الذي لا ترتيب له ، بل كان قرآنا عجبيا في سوره ، و آياته ، و فواصله ، ورؤوس آيه ، القصير منه كالطّويل في إعجازه و بيانه .

¹ . البيهقيّ، أبو بكر أحمد بن الحسين(1999). الاعتقاد و الهداية إلى سبيل الرّشاد، تحقيق: أحمد أبو العينين، الرّياض: دار الفضيلة ، ص 358 .

الفصل الثاني

التيسير اللغوي في إطار الألفاظ

المظهر الأول : اختيار الألفاظ السهلة المأنوسة ، و ترك الوحشيّ النادر .

لما كانت الغاية من إنزال الكتاب الكريم هي هداية الناس ، و دخولهم في دين الله أفواجا ، على اختلاف مشاربهم ، و أصولهم ، و لغاتهم ، اقتضت حكمة الله تبارك و تعالى أن تكون لغة الخطاب لغة سهلة بعيدة عن التعقيد ، يستطيع الناس فهمها ، و تداولها . و في ذلك يصف الباقلانيّ (ت 403 هـ) كتاب الله تعالى بقوله : إنّ الله تعالى " سهلّ سبيله ، فهو خارج عن الوحشيّ المستكره ، و الغريب المستكر ، و عن الصنعة المتكلفة ، و جعله قريبا إلى الأفهام ، يبادر معناه لفظه إلى القلب ، ويسابق المغزى منه عبارته إلى النفس ، و هو مع ذلك ممتع المطلب ، عسير المتناول ، غير مُطمِعٍ مع قربه في نفسه ، و لا موهِمٍ مع دنوّه في موقعه أن يُفقد عليه أو يُظفر به " (1) .

جاء هذا الكتاب العزيز في زمن كانت العرب تتفاخر بتغريب ألفاظها ، و توحّشها في أشعارها و خطبها . و من شعرائها من كان يقضي حولا كريتا في تنقيح قصيدته و تحبيرها ، و يعيد النظر فيها مرّة بعد مرّة ، كالذي كان يفعله زهير بن أبي سلمى في قصائده الطوال و يسمّيها (الحوليات) . كما كانت تسمّى (المقلّدات) و (المنقّحات) و (المحكّمات) لتدلّ هذه المسمّيات على أثر الصنعة ، و انشغال بعض الشعراء بتحبير قصائدهم و تنميقها .

¹ . الباقلانيّ، أبو بكر محمّد بن الطيّب (ب . ت). إجاز القرآن، تحقيق: أحمد صقر، القاهرة: دار

و يقول البعيث الشّاعر : " إني و الله ما أرسل الكلام قضييا خشيبا ، و ما أريد أن أخطب يوم الحفل إلاّ بالباثت المحكّك " (1) . و قال الحطيئة : " خير الشعر الحوليّ المحكّك " (2) .

و يقول الجاحظ (ت 255 هـ) معلقاً على مقولة الأصمعيّ (ت 215 هـ) في حقّ الحطيئة أنّه (عبد لشعره) : " عاب شعره حين وجده كلّه متخيّراً منتخبا مستويا لمكان الصنعة ، و التكلّف ، و القيام عليه " (3) . و يقول أيضا عن زهير بن أبي سلمى ، و الحطيئة ، و أشباههما : " لولا أنّ الشعر قد كان استعبدهم و استفرغ مجهودهم ، حتّى أدخلهم في باب التكلّف ، و أصحاب الصنعة ، و من يلتمس قعر الكلام ، و اغتصاب الألفاظ ، لذهب المطبوعين الذين تأتيهم المعاني سهلا ، و رهوا " (4) .

و منهم من كان يتتبع الألفاظ الغريبة و يوشّي بها قصائده إظهارا لبراعته في لغة العرب ، كالعجاج ، و ابنه رؤبة في أراجيزهما ، حتّى إنّه ليستغلق الفهم عليهما لكثرة ما يكون في أراجيزهما من الكلام النادر ، و الوحشيّ الغريب . و من ذلك قول رؤبة :

و قاتم الأعماقِ خاوي المخرق	مُستبهِ الأعلامِ لَماعِ الخفق
يَكِلُّ وفدُ الرّيحِ من حيثُ انخرق	شأزٍ بمنّ عوّه جدبِ المنطلق
ناءٍ من التّصبيحِ نائي المغتبق	تبدو لنا أعلامه بعد العرق
في قطعِ الآلِ و هبواتِ الدُقُق	خارجةً أعناقها من مُعَنَّق
تتَشَطُّتُهُ كُلُّ مِغلاةِ الوَهَق	مَضْبورةٍ قِرَواءِ هِرْجابِ فُنُق (5)

1 . الجاحظ ، (ب . ت) . البيان و التبيين ، بيروت : دار الكتب العلميّة ، ج 1 : 114 .

2 . السابق ، ج 2 : 6 .

3 . السابق ، ج 1 : 115 .

4 . السابق ، ج 2 : 6 .

5 . ابن العجاج ، رؤبة (1996) . مجموع أشعار العرب ، تصحيح و ترتيب : وليم بن الورد ، الكويت : دار ابن قتيبة ،

و كثيرا ما نجد الأصمعيّ - على بصيرته باللّغة - في شرحه لديوان العجاج يقول في بعض ألفاظه : لا أعرفه .

و نجد في خزانة الأدب عن هذين الشاعرين ولعهما بالغريب ، و النادر . يقول البغداديّ (ت 1093 هـ) : " كلّ منهما له ديوان رجز ، و هما مجيدان عارفان باللّغة وحشيّها و غريبها " (1) .

و جاء في دائرة المعارف عن رؤية : " أنّه ورث عن أبيه ميله لغريب اللّغة ، و لهذا كانت قصائده من أصعب ما نظم باللّغة العربيّة . فقد حفلت بالألفاظ المهجورة أو النادرة التي قلّ أن يستعملها غيره من الشعراء ، ممّا يحمل المرء على الظنّ بأنّه إنّما نحت ألفاظا جديدة من قبيل التّفاخر " (2) .

و هذا ما جعل علماء اللّغة السّابقين من أمثال خلف الأحمر (ت 180 هـ) ، و النضر ابن شميل (ت 203 هـ) ، و أبي عبيدة معمر بن المثنى (ت 210 هـ) ، و غيرهم ، يتسابقون على الظّفّر بنوادر هذين الشاعرين في طلب الحجّة اللّغويّة . و ما امتلاء معاجم اللّغة بأراجيز هذين الشاعرين إلّا دليل بيّن على تصرفهما في لغة العرب ، و تهضمّهما إيّاها .

يقول ابن رشيق القيروانيّ (ت 456 هـ) في تعريف الوحشيّ من الكلام : " و إذا كانت اللفظة خشنة مستغربة لا يعلمها إلّا العالم المبرّز ، و الأعرابيّ القحّ ، فتلك وحشيّة " (3) . و كان يعدّ تتبّع الوحشيّ من الكلام عيّا ، يقول : " قال إبراهيم بن المهديّ لعبدالله بن صاعد

¹ . البغداديّ، عبدالقادر بن عمر(1997). خزانة الأدب و لبّ لباب لسان العرب، تحقيق:عبدالسّلام هارون، ط 4، القاهرة: مكتبة الخانجي، ج1 : 89 - 90 .

² . البستانيّ، المعلم بطرس(1876). دائرة المعارف، بيروت: (ب.ن)، (مادّة: رؤب) .

³ . القيروانيّ، أبو عليّ الحسن بن رشيق(1981). العمدة في محاسن الشّعْر و آدابه و نقده، تحقيق: محمّد محيي الدّين عبدالحميد، ط 5، دمشق: دار الجيل، ج2 : 265 - 266 .

كاتبه : إِيَّاكَ و تتبّع الوحشيّ من الكلام طمعا في نيل البلاغة ، فإنّ ذلك هو العيّ الأكبر ،
و عليك بما سهل ، مع تجنّبك ألفاظ السّفَل " (1) .

و من هذا القبيل أيضا في توخّي العرب الجاهليّين ألفاظا وحشيّة نادرة ، أكثر الشّعْر
الجاهليّ الذي يظهر فيه وعورة هذه الألفاظ و انغلاقها على فهم السّامع ، و قد يرد البيت كلّه بتلك
الألفاظ ، أو ببعضها . و من ذلك قول امرئ القيس :

و سنّ كسنيّ سناء و سنّما ذعرتُ بمدلاج الهجير نهوض (2)

و يقول الأصمعيّ (ت 215 هـ) في حقّ هذا البيت : " لا أدري ما السنّ ، و لا
السننيق ، و لا سنّما ؟ " (3) .

و إن كانت الفصاحة تعني البيان و الظهور ، و جب ترك الإغراب في الكلام الذي يعزّز
فهمه ، و يبعد متناوله . و جب الخطاب بالمألوف من الكلام ليسهل على السّامع فهم مراد
المتكلّم ، يقول ابن الأثير (ت 637 هـ) : " و أحسن الألفاظ ما كان مألوفًا متداولًا ؛ لأنّه لم يكن
متداولًا إلّا لمكان حسنه " (4) .

فكم من لفظ يسير نظم نظما أنيقا ، و سبك سبكا رفيقا ، قد صنع في القلوب صنيع الغيث
في الأرض الطيّبة ، و دخل الأذان بلا استئذان ! و ذلك ما يسمّى (السهل الممتنع) ، و يضرب
ابن الأثير (ت 637 هـ) لمثل هذا مثلا من قول أبي العتاهية في مدح المهديّ في قصيدته
التي مطلعها :

¹. ابن رشيّق، العمدة ، ص 386 .

². امرؤ القيس، ابن حُجر بن الحارث(ب.ت). ديوان امرئ القيس، تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم، ط5 ،
القاهرة: دار المعارف، ص 76.

³. الباقلائيّ، إعجاز القرآن ، ص 322 .

⁴. ابن الأثير، ضياء الدّين أبو الفتح نصرالله بن أبي الكرم(1964). المثل السائر في أدب الكاتب و الشّاعر،
تحقيق: أحمد الحوفي و بدويّ طبانة، القاهرة: دار نهضة مصر، ج1 : 176 .

ألا ما لسيدتي ما لها تُدَلِّ فأحمل إِدلالها (1)

فلما وصل إلى المديح قال :

أنته الخلافة منقادة إليه تجرّر أذيالها

فلم تك تصلح إلا له و لم يك يصلح إلا لها

و لو رامها أحد غيره زلزلت الأرض زلزالها

و لو لم تطعه بنات القلوب لما قبل الله أعمالها

يقول ابن الأثير (ت 637 هـ) : " و يحكى أنّ بشّاراً كان شاهداً عند إنشاد أبي العتاهية

هذه الأبيات ، فلما سمع المديح قال : انظروا إلى أمير المؤمنين ، هل طار عن أعواده ؟ يريد :

هل زال عن سريره طرباً بهذا المديح ؟ " (2) .

و قد ذمّ الله تبارك و تعالى لغة الكهّان وسجعهم ، و برأ كتابه من أن يكون فيه شيء من

ذلك ، يقول سبحانه و تعالى : ﴿ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا نُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا

نُذَكِّرُونَ ﴿٤٢﴾ الْحَاقَّةُ : 41 - 42 .

كما ذمّ ذلك رسول الله صلّى الله عليه و سلّم عندما خاطبه رجل بكلام فيه سجع بائن

التكلف في خصومة دية الجنين ، قال : " إته و الله ما استهلّ ، و لا شرب و لا أكل ، فمثله

يُطلّ . فقال النبيّ صلّى الله عليه و سلّم : " أسجع الجاهليّة وكهانتها " (3) . و الذي يبدو أنّ

رسول الله صلّى الله عليه و سلّم لم ينكر السّجع مطلقاً ، و إنّما كره التكلف في ذلك ، و التّشدّق

¹ . أبو العتاهية، إسماعيل بن القاسم(1986). ديوان أبي العتاهية، جمع و شرح: كرم البستاني، بيروت: دار

بيروت للطباعة و النّشر، ص 375.

² . ابن الأثير، المثل السائر، ج 1 : 194 .

³ . أبو داود، سليمان بن الأشعث السّجستاني(1997). سنن أبي داود، إعداد و تعليق: عزّت عبيد الدّعاس و عادل

السّيد، بيروت: دار ابن حزم، ج 4 : 454 .

في إبطال الحقّ . و قد كان من شأن السّجّاعين ترويح أقاويلهم الباطلة بأسجاع تروق السّامعين استمالة لقلوبهم ، و استصغاء لأسماعهم .

فلغة القرآن الكريم شيء آخر غير سجع الكهّان الذين كانوا يعمدون في سجعهم إلى ألفاظ غامضة مبهمة تخدع السّامع ، و توهمه بصدق أقوالهم لما فيها من تأويلات كثيرة غير محدّدة ، و إغراق في التّعمية ، و لما فيها من رمزيّة غير مفهومة . و كان من هؤلاء الكهّان في الجاهليّة : سلمة بن أبي حيّة ، أكهن العرب و أسجعهم ، و شقّ بن مصعب الأنماريّ ، و سطيح الدّنبّي و اسمه ربيع بن ربيعة ، و المأمور و الدّيّان الحارثيّان ، و الزّرقاء بنت زهير ، و طريفة الخير ، و الزّبراء . و من سجع هذه الأخيرة قولها محدّرة قومها من غارة عليهم : " و اللّوح الخافق ، و اللّيل الغاسق ، و الصّباح الشّارق ، و النّجم الطّارق ، و المزن الوادق ، إنّ شجر الوادي ليأدو ختلا ، و يحرق أنيابا عصلا ، و إنّ صخر الطّود لينذر تُكلا ، لا تجدون عنه معلا " (1) .

فانظر إلى هذا السّجع البائن تكلفه في توحيّ الألفاظ الوحشيّة ، و الغموض الموهّم بصدق القول ، المحتمل لمعان كثيرة يمكن أن تدلّ عليه هذه الألفاظ .

و من غريب كلام العرب قولهم : " يملخ في الباطل ملخا . و ينفض مذرويه " (2) . فهذا من المشكل لغرابة ألفاظه .

و من أسباب الحكم على ندرة اللفظ :

1 . أن يكون اللفظ مخالفا للقياس الصّرفيّ أو التّحويّ ، فيدخل اللفظ حينئذ في باب النّادر ، و من ذلك ما أثبتّه أبو زيد الأنصاريّ (ت 215 هـ) في نوادره من قول الشّاعر ذي الخرق الطّهويّ :

¹ . القالي، أبو عليّ إسماعيل بن القاسم(1987). الأمالي، ط 2، بيروت: دار الجيل، ج 1 : 127.

² . ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس(1997). الصّاحبيّ في فقه اللّغة العربيّة ومسائلها و سنن العرب في

كلامها، تحقيق: أحمد حسن بسج ، بيروت: دار الكتب العلميّة، ص 41 .

يقول الخنا و أبغض العجم ناطقا إلى ربنا صوت الحمار اليجدع

فقد روي عن أبي زيد أنه كان لا يلتفت إلى شيء من هذه الروايات التي تشذ عن الإجماع
و المقاييس⁽¹⁾ .

و كذلك قول الشاعر سلمان بن ربيعة الضبي :

و كفيت مولاي الأحم جريرتي و حبست سائمتي على ذي الخلت
و لقد رأبتُ ثأى العشيرة بينها و كفيتُ جانيتها اللتيا و التي
زعمت تماضر أنني إمّا أمت يسدد أبينوها الأصاغر خلّتي

ثم يعقب أبو زيد على ذلك بقوله : " و صغر الأبناء على أبيين على غير قياس " (2) .

و كذلك ما أثبتته صاحب إصلاح المنطق في ضبط اسم الآلة على وزن (مَفْعَل) ، إذ

يقول : " و ما كان على (مَفْعَل) و (مِفْعَلَة) فيما يعتمل فهو مكسور الميم نحو :
مُخْرَز و مِقْطَع و مِبْضَع و مِسْلَة و مِخْدَة و مِصْدَغَة و مِخْلَة . إلا أحرفا جاءت نواذر بضم
الميم و العين ، و هي مُسْعَط ، و كان القياس مِسْعَط . و مُنْخَل و مُدَقّ و مُدْهِن و مُكْحَلَة
و مُنْصَل " (3) .

و إنّ الناظر في كتاب الله تعالى ليجد التنزيل الكريم و قد استقام على منهج واحد لا عوج

له ، لا في إعرابه و لا في تصرّفه ، و لا يخالف هذا المنهج القياسي إلا حروف يسيرة ذكرها أئمة
اللغة و النحو ، و نذكر من ذلك في وجوه الصّرف :

¹ . أبو زيد، سعيد بن أوس بن ثابت(1981). النّوادر في اللّغة، تحقيق: محمّد عبدالقادر أحمد، بيروت: دار الشّروق، ص 278 .

² . السابق، ص 374 – 375 .

³ . ابن السكّيت، أبو يوسف يعقوب بن إسحق(1949). إصلاح المنطق، تحقيق: أحمد شاكر و عبدالسلام هارون، ط 4، القاهرة: دار المعارف ، ص 218 .

مجيء الفعل (استحوذ) في قوله تعالى : ﴿ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ

أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٩﴾ المجادلة: 19. على غير قياس ، إذ كان القياس (استحاذ) ؛ لأنه على صيغة (استفعل) من الفعل (حاذ) ، كقولنا : (استنقام) و (استعان) . و قد ردّ ابن جنّي (ت 392 هـ) على وجوب اتّباع السّماع في هذه الألفاظ ، و ترك القياس ، ذلك لأنه مطّرد في الاستعمال فوجب الأخذ به ، و ترك القياس ⁽¹⁾ . و في مثل هذه الحال ليس ثمة أيّ مخالفة أو خروج عن اللّغة السّهلة الميسّرة لاطّراد هذه الألفاظ في الاستعمال الذي يعوّل عليه علماء اللّغة .

و على هذا سار أئمّة القراء في اتّباع قراءة القرآن ، إذ كانوا لا يعوّلون على الأقيس في اللّغة إذا خالفه صحيح النّقل ؛ لأنّ القراءة عندهم سنّة متّبعة ، و من شروطها موافقة العربيّة بوجه من الوجوه ، و إن كان مخالفا للقياس . فالعمل عندهم بالإسناد لا بالرأي .

و نذكر على سبيل المثال لا الحصر حرفا آخر جاء مخالفا للقياس ، و هو تسكين

الضمير المتّصل للمفرد الغائب ، كما في قوله تعالى :

﴿ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿١١١﴾ الأعراف: 111.

وكذلك قوله تعالى :

﴿ أَذْهَبَ بِكُنُوزِي هَذَا فَأَلْقَاهُ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ النمل : 28 .

فإنّ القياس في هذا الضمير أن يكون مبنيًا على الكسر ، فنقول : أرجه ، و ألقه .

¹ . انظر: ابن جنّي، أبو الفتح عثمان(1990). الخصائص، تحقيق: محمّد عليّ النّجار، بغداد: دار الشؤون الثقافيّة

و كما كان التصريف قد اطرّد في القياس في القرآن الكريم ، فإنّ النّحو قد اطرّد كذلك في عظم آيات الكتاب الكريم ، فالمرفوعات في القياس النّحوي مرفوعات في القرآن الكريم ، و المنصوبات في القياس النّحوي منصوبات في كتاب الله تعالى ، و هكذا سائر قضايا النّحو ، إلّا في مواطن يسيرة نجد فيها خلاف القياس ، و نذكر من ذلك :

العطف على اسم (إنّ) ، و القياس في ذلك أن يكون المعطوف على اسم (إنّ)

منصوبا ، إلّا في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِغُونَ وَالنَّصَارَى مَنَّ ءَامِنٌ

بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلْ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ المائدة : 69 .

فكلمة (الصّابغون) محلّها النّصب عطفا على نصب اسم (إنّ) ، و القياس أن تكون (الصّابغين) كما في قراءة سعيد بن جبير ⁽¹⁾، فتشابه بذلك آية سورة الحجّ ، و هي قوله تعالى :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِغِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ

اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ الحجّ : 17 .

و يذهب سيبويه (ت 180 هـ) في توجيه هذا الشّاهد إلى التّقديم و التّأخير ؛ فكلمة

(الصّابغون) مرفوعة بالابتداء ، و يكون التّقدير : إنّ الذين آمنوا و الذين هادوا من آمن بالله

و اليوم الآخر و عمل صالحا فلا خوف عليهم و لا هم يحزنون ، و الصّابغون و النّصارى كذلك .

و احتجّ لذلك بقول الشّاعر بشر بن أبي خازم :

و إلّا فاعلموا أنا و أنتم بغاة ما بقينا في شقاق ⁽²⁾

¹. انظر: النّحاس، أبو جعفر أحمد بن محمّد (2008). إعراب القرآن، تحقيق الشّيخ خالد العليّ، ط2، بيروت: دار المعرفة، ص 240.

². انظر: سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان (1988). الكتاب، تحقيق: عبدالسلام هارون، ط 3، القاهرة: مكتبة الخانجي، ج 2: 155 - 156.

2 . أن يجري على اللفظ إبدال ، كإبدال الهاء من الهمزة لقرب المخرج ، كقولهم : لهتك ، إذ أبدلت من لأنك . و هرفت من أرفت . و هنرت الثوب ، إذ أبدلت من أنرت الثوب . و هرحت من أرحت . و في نوادر أبي مسحل (ت 230 هـ) : " شعر أصيل ، و أثيل ، و أصير ، و أثيث ، و كثيف بمعنى كثير " (1) .

3 . أن يكون اللفظ أعجميا غير عربي ، فعرفه بعض العرب و أكثرهم لم يعرفه ، فبدا غريبا نادرا تنبو عنه الأذواق و تمجّه الأسماع ، ولذا عدّه أصحاب كتب النوادر من النوادر ، كقول الشاعر العذافر :

قالت سليمي اشتر لنا سويقا و هات برّ البخس أو دقيقا

و اعجل بشحم نتخذ خرديقا و اشتر فعجل خادما لبيقا

يقول أبو زيد الأنصاري (ت 215 هـ) في (خرديق) : " و الخرديق بالفارسيّة : المرقّة ، مرقّة الشحم بالتابل " (2) .

و جاء في نوادر أبي مسحل (ت 230 هـ) : " و يقال رجل جَرْدَبَان ، و جُرْدُبَان ،

و جَرْدَبِيل ، و هو الذي يأكل بيمينه ، و يجردب بشماله ، و أنشد بيت طفيل :

إذا ما كنت في قوم شهاوى فلا تجعل شمالك جَرْدَبَانَا " (3)

¹ . الأعرابي، أبو مسحل عبدالوهاب بن حريش(1961). النوادر، تحقيق: عزّة حسن، دمشق: مجمع اللغة العربيّة ، ج1 : 20 .

² . أبو زيد، النوادر، ص171 .

³ . أبو مسحل، النوادر، ج1 : 126 .

و بيّن الجواليقي (ت 540 هـ) صاحب المعرّب معنى جَرْدَبَان بقوله : " فارسيّ معرّب . أصله (كِرْدَه بان) أي حافظ الرّغيف . و هو الذي يضع شماله على شيء يكون على الخوان كيلا يتناوله غيره . " (1) .

أمّا اللفظ الأعجميّ إذا عزّيته العرب ، و كثر في كلامهم جدا ، و جرى على مقاييسهم فهو حينئذ شائع غير نادر ، و من ذلك الألفاظ الأعجميّة في القرآن الكريم التي اعتادها العرب وألفوها و كثرت في كلامهم ، كأباريق ، و أكواب ، و سجّيل ، و سندس ، و إستبرق ، و مسك و غيرها . و هذه الألفاظ الواردة في القرآن الكريم لا تتعدّى المئة لفظ (2) ، و يغلب عليها سائر الألفاظ العربيّة في القرآن الكريم . و إذا علمنا أنّ عدد كلمات القرآن الكريم بلغت ما يقارب (77439) لفظا (3) ، فإنّ هذا العدد الكبير هو الغالب في نوعه العربيّ على القليل المعرّب ، و لذا لا يخرج القرآن الكريم عن كونه عربيا . بل إنّ هذه الألفاظ قد وقعت في القرآن الكريم موقعا لا يغني غيرها من لغة العرب غناءها .

و كان وقوع اللفظ المعرّب في القرآن الكريم ميزة تفرّد بها القرآن الكريم دون سائر الكتب السماويّة السابقة ، فكلّ كتاب سبق إنّما نزل بلغة القوم الذين أنزل عليهم ، أمّا القرآن الكريم فقد نزل بلغات العرب كلّها ، و بلغات غير العرب من الفرس ، و الرّوم ، و الحبشة . و من ذلك أسماء الأنبياء عليهم الصّلاة و السّلام كإبراهيم ، و إسماعيل ، و يعقوب ، و إدريس ، و غيرهم .

¹ الجواليقي، أبو منصور موهوب بن أحمد(1969). المعرّب من الكلام الأعجميّ على حروف المعجم، تحقيق: أحمد شاكر، ط 2، القاهرة: مطبعة دار الكتب ، ص 158 .

² انظر: السيوطي، أبو الفضل عبدالرحمن بن الكمال بن محمّد(2005). الإتقان في علوم القرآن، تحقيق مركز الدراسات القرآنيّة، المدينة المنوّرة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشّريف، ج 3 : 972 .

³ انظر: الزّركشي، بدرالدين محمّد بن عبدالله(1990). البرهان في علوم القرآن، تحقيق: يوسف المرعشلي، و جمال الدّهبي، و إبراهيم الكردي، بيروت: دار المعرفة، ج 1 : 347.

و كذلك مظاهر الحياة التي لم يعرفها العرب و عرفها غيرهم من الأمم في الملبس ،
 و المطعم ، و الزينة ، كالسندس و الإستبرق ، و الزنجبيل ، والياقوت ، و غيرها .
 و هذا يدلّ دلالة واضحة على أنّ لغة القرآن الكريم سهلة ميسورة . و لنا أن ننظر إلى هذا
 المسلم الفارسيّ أو الروميّ و هو يقرأ القرآن الكريم فيمرّ به حرف من حروف لغته التي اعتادها
 فيشعر بقرب هذه اللّغة من قلبه ، و يزداد حبا لها بعد أن ألفها . و إن دلّ هذا على شيء فإنّما
 يدلّ على أنّ القرآن أنزل بعلم الله تعالى ، و أتى لبشر في ذلك الزّمان يملك التّصرّف باختيار
 ألفاظ فارسيّة و أخرى روميّة و ثلاثة حبشيّة و رابعة نبطيّة ، و يضعها الموضع الذي يمازج لسان
 العرب بلا قبح و لا نبوّ !

وقديما اختلف الأئمة في وقوع المعرب في القرآن الكريم ، فمنهم من أنكر وقوعه ، و منهم
 من أقرّ به . و كان من المنكرين الإمام الشافعيّ (ت 204 هـ) ، و أبو عبيدة معمر بن المنثي
 (ت 210 هـ) إذ يقول : " نزل القرآن بلسان عربيّ مبين ، فمن زعم أنّ فيه غير العربيّة فقد
 أعظم القول . و من زعم أنّ (طه) بالنّبطيّة فقد أكبر القول ... و قد يوافق اللفظ اللفظ ، و يقاربه
 و معناهما واحد ، و أحدهما بالعربيّة ، و الآخر بالفارسيّة أو غيرها " (1) .

و من المنكرين أيضا ابن فارس (ت 395 هـ)، كما نقل عنه السيوطيّ (ت 911 هـ) :
 " لو كان فيه من لغة غير العرب شيء لتوهّم متوهّم أنّ العرب إنّما عجزت عن الإتيان بمثله لأنّه
 أتى بلغات لا يعرفونها " (2) . و كذلك كان رأي ابن جرير الطّبريّ (ت 310 هـ) (3) .

¹ . أبو عبيدة، معمر بن المنثي (ب.ت). مجاز القرآن، تحقيق: محمّد فؤاد سزكين، القاهرة: مكتبة
 الخانجيّ، ج 1: 17.

² . السيوطيّ، الإتقان، ج 3: 935.

³ . انظر: المصدر السابق، ج 3: 935.

و أمّا من أقرّ بوقوع المعرّب في القرآن الكريم فمنهم أبو عبيد القاسم (ت 224 هـ) ،
و الجواليقيّ (ت 540 هـ) ، و ابن الجوزيّ (ت 597 هـ)⁽¹⁾.

و تبعاً لما سبق فالغريب في كتاب الله تعالى قليل جداً ؛ لأنّ عظم ألفاظه قد خلت من
هذه العلل الثلاث الآنفه الذّكر ، و لأنّ الغريب هو ما جاء وحشياً ، غير ظاهر المعنى ، و لا
مأنوساً . و هذا ما جعل بعض العلماء لا يقرّ بوقوع الغريب في كتاب الله تعالى . يقول
السّيوطيّ (ت 911 هـ) : " قال الواسطيّ : ليس في القرآن حرف غريب من لغة قريش غير
ثلاثة أحرف ؛ لأنّ كلام قريش سهل ليّن واضح ، و كلام العرب وحشيّ غريب " ⁽²⁾ .

و يقول ابن الأثير (ت 637 هـ) : " و إذا نظرنا إلى كتاب الله تعالى الذي هو أفصح
الكلام وجدناه سهلاً سلساً ، و ما تضمّنه من الكلمات الغريبة يسير جداً . هذا ، و قد أنزل في
زمن العرب العراء ، و ألفاظه كلّها من أسهل الألفاظ و أقربها استعمالاً ، و كفى به قدوة في هذا
الباب " ⁽³⁾ .

و يقول الزّافعيّ : " و في القرآن ألفاظ اصطلاح العلماء على تسميتها بالغرائب ، و ليس
المراد بغرابتها أنّها منكّرة أو نافرة أو شاذّة ، فإنّ القرآن منزّه عن هذا جميعه ، و إنّما اللفظة الغريبة
ههنا هي التي تكون حسنة مستعربة في التّأويل ، بحيث لا يتساوى في العلم بها أهلها و سائر
النّاس " ⁽⁴⁾ .

¹ . السّيوطيّ، الإتيان، ج 3 : 940 – 941.

² . السابق، ج 3 : 933 .

³ . ابن الأثير، المثل السائر، ج 1 : 178 .

⁴ . الزّافعيّ، مصطفى صادق (2005). تاريخ آداب العرب، بيروت: دار الكتاب العربي، ص 71 .

و الغريب من الألفاظ في عرف علماء اللّغة و التّفسير له وجهان :

الأول : غريب في ذلك الرّمان . والثّاني : غريب في بيئّة غير بيئّة اللّفظ التي انبعث فيها .

و لم يصل إلينا خبر أنّ صحابيّاً سأل الرّسول صلّى الله عليه و سلّم عن معنى لفظ في

القرآن الكريم ، ونقصد بذلك المعنى المعجميّ ، و إنّما كان الرّسول صلّى الله عليه و سلّم يبيّن لهم

المعنى الاصطلاحيّ لبعض الألفاظ لا المعنى المعجميّ ، و من ذلك تفسيره صلّى الله عليه و سلّم

لمعنى كلمة أخبارها في قوله تعالى : ﴿ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴾ الزلزلة : 4 ، فقال عليه

الصّلاة و السّلام : " أتدرون ما أخبارها ؟ قالوا : الله و رسوله أعلم . فقال عليه الصّلاة

و السّلام : فإنّ أخبارها أن تشهد على كلّ عبد أو أمة بما عمل على ظهرها ، تقول : عملت كذا

و كذا في يوم كذا و كذا ، قال : فهذه أخبارها " (1) .

فكلمة أخبار يعرفها الجاهل و العالم ، و إنّما كان التّوضيح من رسول الله عليه الصّلاة

و السّلام لبيان المعنى الاصطلاحيّ الذي أراه الله تبارك و تعالى ، و لا يعلمه إلا رسول الله عليه

الصّلاة و السّلام بوحى من الله تعالى .

و من ذلك أيضا أنّه كان في علم الصّحابة رضي الله عنهم كما في علم العرب آنذاك أنّ

معنى الكوثر الخير الكثير (2) ، كما بيّنه المعجميون ، إلا أنّ الرّسول عليه الصّلاة و السّلام بيّن

للناس معنى جديدا اصطلاحيا لهذا اللّفظ ، يقول أنس بن مالك رضي الله عنه : " بينا رسول الله

صلّى الله عليه و سلّم ذات يوم بين أظهرنا ، إذ أغفى إغفاءة ، ثمّ رفع رأسه مبتسما ، فقلنا ما

أضحكك يا رسول الله ؟ قال : أنزلت عليّ آفا سورة ، فقرأ :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرِ ﴿٢﴾ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ

1. التّرمذيّ ، سنن التّرمذيّ، ج 2 : 373 .

2. انظر: ابن منظور، لسان العرب، (مادّة: كثر).

الْأَبْتَرُ ﴿٢﴾ الكوثر : 1 - 3 . ثم قال : أتدرون ما الكوثر ؟ فقلنا : الله و رسوله أعلم . فقال :
فإنه نهر وعدنيه ربي عزّ و جلّ ، عليه خير كثير ، هو حوض ترد عليه أمّتي يوم القيامة ، أنيته
عدد النجوم ... " (1) .

و ما ورد من روايات عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه لم يعرف معنى كلمة
(أبّا) الواردة في سورة (عبس) ، فروايات فيها شكّ من ناحية استصحاب الحال ؛ لأنّ هذه
السورة مكّية نزلت قبل الهجرة ، و لا يُعقل أنّ عمر رضي الله عنه ظلّ يجهل معناها طوال هذه
المدة دون أن يسأل رسول الله عليه الصلّاة و السّلام أو أصحابه رضي الله عنهم . و ما كان
توقّف أصحاب النبيّ عليه الصلّاة و السّلام عن تفسير بعض الكلمات إلاّ تورّعا ، و خوفا من
الحرص في مجانبة مراد الله تعالى في كتابه .

أمّا إذا شاع هذا اللفظ الغريب ، و فشا بين النّاس ، و كثر استعماله في حياة العامّة لم
يعد غريبا في ذاته ، و إنّما صار شائعا معروفا يتداوله النّاس على اختلاف بيئاتهم ، و هذا ما
يُفهم من قول الرّشيد بعدما سأل الأصمعيّ عن شعرٍ غريب لابن حزام العُكَلِيّ ففسّره الأصمعيّ ،
فقال له الرّشيد : " يا أصمعيّ إنّ الغريب عندك لغير غريب . فقال : يا أمير المؤمنين ألاّ أكون
كذلك و قد حفظت للحجر سبعين اسما ؟ " (2) .

و هذا ما حصل للغة القرآن الكريم ، و ألفاظه التي جاءت متعبّدة في تلاوتها ، و يتنافس
المسلمون في قراءتها رغبة في المثوبة ، و البركة ، والشّفاء ، و الرّحمة ، والأُنس ، و خوفا من
الوعيد الذي توعدّ الله تبارك و تعالى به المسلمين في هجر القرآن الكريم . فنجد في السّلف
الصّالح من كان يختم قراءة القرآن الكريم كلّهُ في ليلة واحدة ، و منهم من يختمه في يومين ،

¹. انظر: العسقلانيّ، أبو الفضل أحمد بن عليّ بن حجر، (2004). فتح الباري شرح صحيح البخاريّ، تحقيق:

عبدالعزیز بن باز و محمّد فؤاد، بيروت: دار الكتب العلميّة، ج 9 : 635 .

². ابن فارس، الصّاحبيّ، ص 22 .

و أكثر من ذلك و أقلّ . فقد ذكر ابن كثير (ت 774 هـ) في ترجمة الإمام البخاريّ (ت 256 هـ)
 " أنه كان يختم القرآن في كلّ ليلة من رمضان ختمة " (1) .

و أمّا كتب غريب القرآن الكريم التي وضعها مؤلفوها و كان أولها كتاب (غريب القرآن
 الكريم) لابن قتيبة (ت 276 هـ) ، فإنّ الغرض من وضعها حاجة غير العرب الذين أسلموا لفهم
 معاني ألفاظ القرآن الكريم غير الدارجة في حياة الناس آنذاك ، فوضعوا الغريب لا لأنّه غريب في
 ذاته بل لأنّه غريب على أهل ذلك العصر .

و دليل آخر على أنّ تلك الألفاظ كانت معروفة عند العرب ، ما أثبتته السيوطي
 (ت 911 هـ) من مسائل عُرفت بمسائل نافع بن الأزرق التي يسأل فيها عبدالله بن عباس رضي
 الله عنهما عن معاني ألفاظ جاءت في كتاب الله تعالى ، وكان ابن عباس رضي الله عنهما يخبره
 بمعناها . فيسأله نافع : و هل تعرف العرب ذلك ؟ فيقول ابن عباس رضي الله عنهما : نعم ، أما
 سمعت الشّاعر يقول ، و يذكر ابن عباس رضي الله عنهما له اسم الشّاعر و بيت الشّعر الذي يرد
 فيه ذلك اللفظ ليبيّن معناه (2) . وقد بلغت هذه المسائل قريبا من مئتي سؤال .

فهذه الألفاظ كانت معروفة في بيئة ما ، و غريبة في بيئة أخرى . و بعدما ألقى
 الإسلام بجرانه ، و أقبل المسلمون على تلاوة الكتاب الكريم و مدارسته لم تعد هذه الألفاظ غريبة
 منغلقة ، و صار من اليسير على المسلم فهم معاني تلك الألفاظ بأيّ طريقة شاء .

و لكننا إلى جانب هذا لا ننكر أنّ الله تبارك و تعالى قد استودع في كتابه الكريم معاني لا
 يعلمها إلّا هو ، و هي التي سمّاها ربّنا تبارك و تعالى (المتشابهات) ، و من ذلك : الحروف
 المقطّعة في أوائل السّور .

¹ ابن كثير، أبو الفداء عماد الدّين إسماعيل بن عمر(1978). البداية و النّهاية، بيروت: دار الفكر، ج11 : 26.

² انظر: السيوطي، الإتيقان، ج3 : 848-902 .

و نخلص من هذا إلى القول بأن اللفظ الوحشي لم يقع في القرآن الكريم تصديقا لقوله

تعالى : ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴾ (١٧) القمر: 17.

المظهر الثاني : التكرار .

تناول علماء اللغة و الشريعة مسألة التكرار في القرآن الكريم بالدّرس ، و أكثروا فيها من القول ، و اختلفت تعريفاتهم للتكرار و أشكاله بعض الاختلاف ، إلا أنهم أجمعوا على أثر هذا اللون من ألوان الجمال الأدبي في محاسن الفصاحة القرآنية . و نجد في المقابل من خفّ فهمهم لفصاحة اللغة ، و أساليبيها الجمالية يطعنون في وجود هذا اللون في القرآن الكريم ، و ادّعوا أنّ ذلك من الحشو الذي لا فائدة فيه . تعالى الله عمّا يقولون علواً كبيراً .

فالتكرار لغة مصدر الفعل كرّ ، و معناه " أعاده مرّة بعد أخرى ، و الكرّة : المرّة ، و الجمع الكرّات . و يقال : كرّرت عليه الحديث و كرّرتّه إذا رددته عليه " (1) .

و التكرار اصطلاحاً هو " دلالة للفظ على المعنى مردداً ، كقولك لمن تستدعيه : أسرع أسرع ، فإنّ المعنى مردّد ، و اللفظ واحد " (2) .

وقد أكّد كثير من العلماء فوائد التكرار في القرآن الكريم ، و منهم السيوطي (ت 911 هـ) ، إذ يذكر أنّ من فوائد التكرار التّقرير ، و زيادة التّنبية على ما ينفي التّهمة ليكمل تلقّي الكلام بالقبول ، و منها إذا طال الكلام و خشي تناسي الأوّل أعيد ثانيها تطرية له ، و تجديدا لعده ، و منها التّعظيم و التّهويل (3) .

و يقول ابن تيمية (ت 728 هـ) : " و ليس في القرآن تكرار محض ، بل لا بدّ من فوائد في كلّ خطاب " (4) .

¹ . ابن منظور، لسان العرب، (مادّة : كرر) .

² . ابن الأثير، المثل السائر، ج 2 : 345 .

³ . انظر: السيوطي، الإتقان، ج 5 : 1648 .

⁴ . ابن تيمية، أبو العباس أحمد بن عبدالحليم(1995). مجموع الفتاوى، المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة

المصحف الشريف ، ج 14 : 408 .

و قال في التعليق على تكرار قصة موسى عليه السلام مع قومه : " و قد ذكر الله هذه القصة في عدة مواضع من القرآن ، بيّن في كلّ موضع منها من الاعتبار و الاستدلال نوعا غير النوع الآخر ، كما يسمّى الله ، و رسوله ، و كتابه بأسماء متعدّدة ، كلّ اسم يدلّ على معنى لم يدلّ عليه الاسم الآخر ، و ليس في هذا تكرار ، بل فيه تنويع الآيات ، مثل أسماء النبيّ صلّى الله عليه و سلّم إذ قيل : محمّد ، و أحمد ، و الحاشر ، و العاقب ، و المقفّي ، و النبيّ الرحمة ، و النبيّ التوبة ، و النبيّ الملحمة ، في كلّ اسم دلالة على معنى ليس في الاسم الآخر ، و إن كانت الذات واحدة فالصفات متنوّعة . و كذلك القرآن إذ قيل فيه : قرآن ، و فرقان ، و بيان ، و هدى ، و بصائر ، و شفاء ، و نور ، و رحمة ، و روح . فكلّ اسم يدلّ على معنى ليس هو المعنى الآخر . إلى أن يقول : و كذلك في الجمل التامة ، يعبر عن القصة بجمل تدلّ على معان فيها ، ثمّ يعبر عنها بجمل أخرى تدلّ على معان آخر ، و إن كانت القصة المذكورة ذاتها واحدة ، فصفاتها متعدّدة ، ففي كلّ جملة من الجمل معنى ليس في الجمل الآخر " (1) .

وبعد هذا ، ستقف هذه الدراسة على أهميّة التكرار في تيسير لغة الخطاب في القرآن الكريم . وهذا الشأن لم يولّه العلماء كبير اهتمام ، و لعلّه قد غاب عنهم ما له من أثر واضح في التيسير اللغويّ الذي صرّح به ربّ العزة تصرّحا لا يحتمل تأويلا . و بما أنّ الله سبحانه و تعالى قد أكّد تكرار الكلام في كتابه العزيز فلحكمة مقصودة ؛ إذ يصف الله تعالى كتابه بالحديث المتشابه الذي يشبه بعضه بعضا ، في نظمه ، و لغته ، و بلاغته ، و يسره . كما يصفه ربّنا جلّ شأنه بالمثنائي التي تدلّ فيه الأولى على معنى الثانية و تؤكّدها . فأنت عندما تقرأ ما حلّ بقوم نوح عليه السلام من العذاب بتكذيبهم رسولهم ، تعلم ما سيحلّ بقوم عاد إذا كذبوا رسولهم ، و لكن بلون جديد من ألوان العذاب .

¹ . ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج19 : 167- 168 .

و التكرار في القول يجعل السّامع أكثر فهما لما تكرر ، فقد كان رسول الله صلّى الله عليه
و سلّم " إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثا حتّى تُفهم عنه " (1) .

و من المعلوم أنّ ما تكرر تقرّر ؛ لأنّ العقل يألف هذا الجديد لكثرة تردده ، و لا يجد أيّ
مشقة في إلفه ، و فهمه ، و تيسّر مدخله الذي لم يعد أجنبيّا ، و لا جديدا عليه ، فإذا ما سمعه
مرّة بعد مرّة لاقاه بالقبول ، و وجد له في النفس مكانه الذي استوطنه ، و وقر فيه .

و الشّيء إذا عاوده اللّسان خفّ . و قد كنّا و نحن في مراحل التّعليم الأولى إذا أردنا حفظ
شيء من المقرّر نكرّر ذلك مرّات و مرّات حتّى نألف هذا المكرّر ، و يقرّ في النفوس قرارا
يصعب نسيانه ، لما للتكرار من قوّة في إلف المكرّر من جهة ، و لما له من أثر في خفته على
اللّسان بعد أن كان ثقيلًا جافيا من جهة أخرى . و من ذلك ما كان يفعله معلّم اللّغة الإنجليزيّة في
تعليمنا مفردات تلك اللّغة ، إذ كان يلفظ هذه الكلمة بصوته الجهوريّ ، و نعيدها جميعا قريبا من
صوته مرّات و مرّات حتّى تصبح هذه الكلمة و كأنّا نعرفها منذ زمن طويل ، و ما زلنا نحفظ
لفظها ، و معناها إلى يومنا هذا لكثرة ما كنّا نكرّرها و نقرّرها في صدورنا . و لا أنسى بعض
الدّروس في اللّغة العربيّة التي كنّا ندرسها في تلك المرحلة لما كان يطلبه منّا معلّم اللّغة العربيّة
من نسخ تلك الدّروس مرّتين ، أو ثلاثا ، أو أربعا ، و لا أكون قد بالغت إن قلت خمسا ، أو ستّا .

أمّا التّكرار في القرآن الكريم فله شأن آخر مع المتعلّمين ، و أوّل ما نذكر تكرر كلمة
النّاس في سورة النّاس ، إذ كان من أخفّ الحفظ على الطّالبيين تكرر هذه الكلمة خمس مرّات من
بين خمس عشرة كلمة ، و الوقع العجيب لفواصل الآيات في إضافة هذه الكلمة إلى الرّبّ ،

و الملك ، و الإله . يقول الله تبارك و تعالى : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ النَّاسِ ﴿٢﴾

¹ . البخاريّ، الصّحيح ، ج 1 : 35 .

إِلَهُ النَّاسِ ﴿٣﴾ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ

﴿٥﴾ مِنْ الْحِجَةِ وَالنَّكَاسِ ﴿٦﴾ النَّاسِ : 1-6 .

و أما أشكال التكرار في القرآن الكريم فقد جاءت على الصور الآتية :

أولاً : التكرار في الألفاظ ، و قد جاء في كتاب الله تعالى على شكلين ، هما :

أ . تكرار آية بكليتها في موضعين أو أكثر ، و نجد هذا الشكل يقل في كتاب الله تعالى ، إذ بلغ

المكرّر من ذلك (93) آية .

السورة / الآية	الآية	التكرار	الرقم
الرحمن (13,16,18,21,23,25,28,30,32) 55,53,51,49,47,45,42,40,38,36,34 57,59,61,63,65,67,69,71,73,75,77).	﴿فِي آيِ آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾	31 مرة	1
المرسلات (15,19,24,28,34,37,40,45,47,49). المطققين (10).	﴿وَيَلُّوْا يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾	11 مرة	2
الشعراء (108,110,126,131,144,150,163,179)	﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾	8	3
الأحقاف (1) ، الجاثية (1) ، الدخان (1) الزخرف (1) ، الشورى (1) ، غافر (1) ، فصلت (1)	﴿حَمَّ﴾	7	4
البقرة (1) ، آل عمران (1) ، العنكبوت (1) ، الزّوم (1) ، لقمان (1) ، السّجدة (1).	﴿آتٍ﴾	6	5

الشعراء (190,174,121,103,67,8) .	﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾	6	6
يونس(48)، الأنبياء(38)، النمل(71)، سبأ(29) يس(48)، الملك(25) .	﴿ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾	6	7
الشعراء (180,164,145,127,109) .	﴿ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾	5	8
الشعراء (178,162,143,125,107) .	﴿ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴾	5	9
القمر (40,32,22,17) .	﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴾	4	10
الصّافّات (131,121,80) ، المرسلات (44) .	﴿ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾	4	11
الصّافّات (160,128,74,40) .	﴿ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ ﴾	4	12
الصّافّات (129,108,78) .	﴿ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴾	3	13
القمر (30,21,16) .	﴿ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ ﴾	3	14
الواقعة (96,74) ، الحاقة (52) .	﴿ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴾	3	15
الزّمر (1) ، الجاثية (2) ، الأحقاف (2) .	﴿ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴾	3	16
الصّافّات (132,111,81) .	﴿ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴾	3	17
البقرة (122,47) .	﴿ يَبْنَوي إِسْرَءِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَإِنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾	2	18
التّوبة (73) ، التّحريم (9) .	﴿ يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ جِهَادَ الْكُفْرَارِ وَالْمُنَافِقِينَ وَأَغْلَطَ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَيَسَّ الْمَصِيرُ ﴾	2	19

20	2	﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَاءِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾	القصص (74,62)
21	2	﴿ وَنَزَعَ يَدَهُ فَادَاهَا بَيْضَاءَ لِنَظِيرِنَ ﴾	الأعراف (108) ، الشعراء (33) .
22	2	﴿ وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴾	الأنعام (4) ، يس (46) .
23	2	﴿ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴾	إبراهيم (20) ، فاطر (17) .
24	2	﴿ وَمَا أَنْتَ بِهَادٍ الْعَمَىٰ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ ﴾	النمل (81) ، الزّوم (53) .
25	2	﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴾	هود (96) ، غافر (23) .
26	2	﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ فَاخْتَلَفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكِّ مِنْهُ مِرْيَبٍ ﴾	هود (110) ، فصلت (45) .
27	2	﴿ وَلَا يَحْضُ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴾	الحاقة (34) ، الماعون (3) .
28	2	﴿ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴾	الكافرون (5,3)
29	2	﴿ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴾	الزّخرف (2) ، الدّخان (2) .
30	2	﴿ وَالَّذِينَ هُمْ يُفْرِقُهُمْ حَافِظُونَ ﴾	المؤمنون (5) ، المعارج (29) .

المؤمنون (8) ، المعارج (32) .	﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴾	2	31
المائدة (86,10) .	﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾	2	32
الأعراف (183) ، القلم (45) .	﴿ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴾	2	33
الشعراء (173) ، النمل (58) .	﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذِرِينَ ﴾	2	34
الصافات (27) ، الطور (25) .	﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴾	2	35
الانشقاق (5,2) .	﴿ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴾	2	36
التوبة (33) ، الصف (9) .	﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظَاهِرَهُ عَلَىٰ الَّذِينَ كَفَرُوا وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾	2	37
النازعات (33) ، عبس (32) .	﴿ مَنَّاعًا لَّهُمْ وَلَا تَعْمِكُمْ ﴾	2	38
الصافات (154) ، القلم (36) .	﴿ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾	2	39
الحجر (5) ، المؤمنون (43) .	﴿ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجْلَهَا وَمَا يَسْتَخِرُونَ ﴾	2	40
النحل (55) ، الروم (34) .	﴿ لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَانَيْنَهُمْ فَتَمْتَعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾	2	41
الطور (19) ، المرسلات (43) .	﴿ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾	2	42
المطففين (20,9) .	﴿ كِتَابٌ مَّرْقُومٌ ﴾	2	43

الأنعام (15) ، الزمر (13) .	﴿ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾	2	44
الشعراء (185,153) .	﴿ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴾	2	45
الأعراف (121) ، الشعراء (47) .	﴿ قَالُوا ءَأَمْنَا رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾	2	46
الحجر (29) ، ص (72) .	﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ، وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ، سَجِدِينَ ﴾	2	47
الحجر (34) ، ص (77) .	﴿ قَالَ فَأَخْرِجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَاجِعٌ ﴾	2	48
الحجر (36) ، ص (79) .	﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ ﴾	2	49
الحجر (37) ، ص (80) .	﴿ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴾	2	50
الحجر (57) ، الذاريات (31) .	﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴾	2	51
الحجر (58) ، الذاريات (32) .	﴿ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ ﴾	2	52
المؤمنون (39,26) .	﴿ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونَ ﴾	2	53
الحاقة (22) ، الغاشية (10) .	﴿ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴾	2	54
الشعراء (147) ، الدخان (52) .	﴿ فِي جَنَّتٍ وَعُيُوتٍ ﴾	2	55
الصافات (43) ، الواقعة (12) .	﴿ فِي جَنَّتِ النَّعِيمِ ﴾	2	56
الحاقة (21) ، القارعة (7) .	﴿ فَهَوِيَ فِي عَيْشِكُمْ رَاضِيَةً ﴾	2	57
المدثر (55) ، عبس (12) .	﴿ فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ ﴾	2	58
المؤمنون (7) ، المعارج (31) .	﴿ فَمَنْ أَتَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴾	2	59

الزخرف (83) ، المعارج (42) .	﴿ فَذَرَهُمْ يَحْضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّىٰ يُلْقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴾	2	60
الأعراف (107) ، الشعراء (32) .	﴿ فَالْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثَعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴾	2	61
الأعراف (91,78) .	﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جِثْمِينَ ﴾	2	62
المطففين (35,23) .	﴿ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ ﴾	2	63
الواقعة (80) ، الحاقة (43) .	﴿ نَزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴾	2	64
البقرة (141,134) .	﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُنتَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾	2	65
الشعراء (1) ، القصص (1) .	﴿ طَسَمَ ﴾	2	66
الشعراء (2) ، القصص (2) .	﴿ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴾	2	67
الحشر (1) ، الصف (1) .	﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾	2	68
الأعراف (122) ، الشعراء (48) .	﴿ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴾	2	69
آل عمران (182) ، الأنفال (51) .	﴿ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلْمٍ لِلْعَبِيدِ ﴾	2	70

71	2	﴿ خَلِيدِينَ فِيهَا لَا يُخَفِّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴾	البقرة (162) ، آل عمران (88) .
72	2	﴿ ثُمَّ أَعْرَفْنَا الْأَخْرِينَ ﴾	الشعراء (66) ، الصافات (82) .
73	2	﴿ ثُمَّ دَمَرْنَا الْأَخْرِينَ ﴾	الشعراء (172) ، الصافات (136) .
74	2	﴿ ثُمَّ اتَّبَعَ سَبَبًا ﴾	الكهف (92,89) .
75	2	﴿ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ ﴾	الواقعة (39,13) .
76	2	﴿ بَلْ نَحْنُ مُخْرَمُونَ ﴾	الواقعة (67) ، القلم (27) .
77	2	﴿ أَنْظِرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴾	الإسراء (48) ، الفرقان (9) .
78	2	﴿ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾	النمل (3) ، لقمان (4) .
79	2	﴿ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾	النحل (42) ، العنكبوت (59) .
80	2	﴿ أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴾	طه (24) ، التازعات (17) .
81	2	﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴾	الحاقة (40) ، التكويد (19) .
82	2	﴿ إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴾	ص (87) ، التكويد (27) .
83	2	﴿ إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴾	المزمل (19) ، الإنسان (29) .

الحجر (45) ، الذّاريات (15) .	﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴾	2	84
الانفطار (13) ، المطففين (22) .	﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴾	2	85
الحجر (38) ، ص (81) .	﴿ إِلَيْكَ يَوْمَ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴾	2	86
المؤمنون (6) ، المعارج (30) .	﴿ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴾	2	87
الشّعراء (171) ، الصّافات (135) .	﴿ إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَيْرِينَ ﴾	2	88
الحجر (40) ، ص (83) .	﴿ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴾	2	89
آل عمران (89) ، النّور (5) .	﴿ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾	2	90
القلم (15) ، المطففين (13) .	﴿ إِذَا نُنَادَىٰ عَلَيْهِ إِيْتِنَا قَالَ أَسْطِيطُ الْأَوَّلِينَ ﴾	2	91
الطّور (40) ، القلم (46) .	﴿ أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ ﴾	2	92
الطّور (41) ، القلم (47) .	﴿ أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُمُونَ ﴾	2	93

فكم لتكرار هذه الآيات من راحة يجدها القارئ في نفسه كلّما مرّت عليه ، فيألفها في المرّة الأولى ، و يسهل حفظها في المرّة الثّانية ، و يتقرّر معناها في صدره في المرّة الثّالثة ، و على ذلك يؤكّد ابن خلدون أنّ الإنسان يتحصّل على فهم اللّغة ، و معرفة طرائقها ، و التّمكّن منها ، و الإحاطة ببنائها اللّغويّ ، و الصّرفيّ ، و النّحويّ بالتكرار ، و كثرة المحفوظ الذي يجعل عند الفرد هذه القوّة اللّغويّة التي يسمّيها الملكة اللّسانيّة ، يقول : " و الملكات لا تحصل إلا بتكرار

الأفعال ؛ لأنّ الفعل يقع أولاً ، و تعود منه للذات صفة ، ثمّ تتكرّر فتكون حالاً ، و معنى الحال أنّها صفة غير راسخة ، ثمّ يزيد التكرار فتكون ملكة ، فالمتكلم من العرب حين كانت ملكة اللّغة العربيّة موجودة فيهم ، يسمع كلام أهل جيله ، و أساليبهم في مخاطباتهم ، و كفيّة تعبيرهم عن مقاصدهم ... ثمّ لا يزال سماعهم لذلك يتجدّد في كلّ لحظة و من كلّ متكلم ، و استعماله يتكرّر ، إلى أن يصير ذلك ملكة ، و صفة راسخة " (1) .

يقول الله تبارك و تعالى : ﴿ بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا

يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ ﴿٤٩﴾ العنكبوت : 49 .

ب . تكرار كلمة واحدة أو أكثر في الآية الواحدة أو في أكثر من آية . و هذا الوجه في القرآن الكريم كثير جداً ، و نذكر منه :

تكرار قوله تعالى : ﴿ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾ . فقد تكررت هذه الكلمات في

مواضع عدّة من كتاب الله تعالى ، منها :

قوله تعالى : ﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا

الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا

وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٥٥﴾ البقرة : 25 .

¹ . ابن خلدون، وليّ الدّين عبدالرحمن بن محمّد(2004). مقدّمة ابن خلدون، تحقيق: عبدالله محمّد الدّرويش،

وقوله تعالى : ﴿ قُلْ أُوْنِيْتِكُمْ بِخَيْرٍ مِّنْ ذٰلِكُمْ لِلَّذِيْنَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّتْ تَجْرِيْ مِنْ

تَحْتِهَا الْاَنْهَارُ خٰلِدِيْنَ فِيْهَا وَاَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللّٰهِ وَاللّٰهُ بِصِيْرٍ بِالْعِبَادِ

﴿ ١٥ ﴾ آل عمران : 15 .

وقوله تعالى : ﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ اَنِّيْ لَا اُضِيْعُ عَمَلًا مِّنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ اَوْ اُنْثَىٰ

بَعْضُكُمْ مِّنْ بَعْضٍ فَاَلَّذِيْنَ هَاجَرُوا وَاُخْرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَاُوْدُوا فِيْ سَبِيْلِیْ وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَا اُكْفِرَنَّ

عَنْهُمْ سَبِيْعَاتِهِمْ وَلَا دُخِلَتْهُمْ جَنَّتْ تَجْرِيْ مِنْ تَحْتِهَا الْاَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِنْدِ اللّٰهِ وَاللّٰهُ عِنْدَهُ حُسْنُ

الْثَوَابِ ﴿ ١٦٥ ﴾ آل عمران : 195 .

و قوله تعالى : ﴿ لٰكِنِ الَّذِيْنَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّتْ تَجْرِيْ مِنْ تَحْتِهَا الْاَنْهَارُ خٰلِدِيْنَ

فِيْهَا نَزُلًا مِّنْ عِنْدِ اللّٰهِ وَمَا عِنْدَ اللّٰهِ خَيْرٌ لِّلْاَبْرَارِ ﴿ ١٦٨ ﴾ آل عمران : 198 .

و قوله تعالى : ﴿ تِلْكَ حُدُوْدُ اللّٰهِ وَمَنْ يُطِيعِ اللّٰهَ وَرَسُوْلَهُ يَدْخُلْهُ جَنَّتٌ

تَجْرِيْ مِنْ تَحْتِهَا الْاَنْهَارُ خٰلِدِيْنَ فِيْهَا وَذٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيْمُ ﴿ ١٦٣ ﴾

النساء : 13 .

و قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِيْنَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصّٰلِحٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّتٍ تَجْرِيْ مِنْ تَحْتِهَا

الْاَنْهَارُ خٰلِدِيْنَ فِيْهَا اَبَدًا لَّهُمْ فِيْهَا اَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيْلًا ﴿ ٥٧ ﴾ النساء : 57 .

و قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِيْنَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصّٰلِحٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّتٍ تَجْرِيْ مِنْ

تَحْتِهَا الْاَنْهَارُ خٰلِدِيْنَ فِيْهَا اَبَدًا وَعَدَ اللّٰهُ حَقًّا وَمَنْ اَصْدَقُ مِنَ اللّٰهِ قِيْلًا ﴿ ١٢٢ ﴾ النساء : 122 .

و قوله تعالى : ﴿ فَأَثْبَهُمْ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ ﴾

وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٥﴾ المائدة : 85 .

و قوله تعالى : ﴿ قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّالِحِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۚ ﴾

خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾ المائدة : 119 .

و قوله تعالى : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۚ ﴾

خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكَنٍ طَيِّبَةٍ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ

الْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ التوبة : 72 .

و قوله تعالى : ﴿ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۚ ﴾

﴿٨٩﴾ التوبة : 89 .

و قوله تعالى : ﴿ وَأُدْخِلَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا ۚ ﴾

الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ﴿٢٣﴾ إبراهيم : 23 .

و قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا ۚ ﴾

الْأَنْهَارُ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿١٤﴾ الحج : 14 .

و قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ

تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٢٣﴾

الحجّ : 23 .

و قوله تعالى : ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا

الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلُ لَكَ قُصُورًا ﴿١٠﴾ الفرقان : 10 .

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ

وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَنَّوْنَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ ﴿١٢﴾ محمد : 12 .

و قوله تعالى : ﴿ لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا

وَيُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٥﴾ الفتح : 5 .

و قوله تعالى : ﴿ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ وَمَنْ يُطِيعِ

اللَّهِ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يَْعَذِبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٧﴾ الفتح : 17 .

و قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَانُكُمْ الْيَوْمَ

جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ الحديد : 12 .

و قوله تعالى : ﴿ لَا تَحِدْ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ

وَرَسُولَهُ، وَلَوْ كَانُوا ءَابَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي

قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾ المجادلة : 22.

و قوله تعالى : ﴿ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسْكَنٍ طَيِّبَةٍ فِي جَنَّاتٍ

عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ الصَّف : 12.

و قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ النَّعَابِ وَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا

يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ

الْعَظِيمُ ﴿٩﴾ النَّعَابِ : 9 .

و قوله تعالى : ﴿ رَسُولًا يَنْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ

الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا

فَدَأَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا ﴿١١﴾ الطَّلَاق : 11.

و قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ

سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ

نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَنْتُمْ لَنَا نُورٌ وَأَغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ

قَدِيرٌ ﴿٨﴾ التَّحْرِيم : 8.

و قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ

الْفَوْزُ الْكَبِيرُ ﴿١١﴾ البروج : 11.

و لك أن تتصوّر قارئاً من العجم يقرأ القرآن الكريم ، فما أن يصل إلى مثل هذه الآيات حتى يشعر بالارتياح ، و هدوء الرّوع ، و التقاط الأنفاس في إلف هذه الكلمات ، و معرفة معانيها التي ترددت على مسمعه غير مرّة ، فتسيل على لسانه بكلّ سهولة و يسر قائلاً : ﴿ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾ .

و مثلها قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ . و غير ذلك ممّا تكرّرت بعض ألفاظه ليسهل قراءتها ، و فهمها لهذا الغرض . و هذا من فضل الله تبارك و تعالى في تيسير لغة الخطاب التي تأخذ بيد القارئ لتقرّبه إلى الفهم عن ربّه تبارك و تعالى بأقلّ جهد ، و أسهل لفظ ، و أيسر معنى .

و لم يسبق القرآن الكريم إلى مثل هذا الوجه من وجوه الخطاب في آداب الأمم و علومهم ، و إن جاء فنزر يسير لا يرتقي إلى رتبته التي وصلها في القرآن الكريم ، و ذلك لعجز البشر اللّغويّ في إنزال هذا الوجه المنزل اللائق من الخطاب ، فهو في عمل البشر عيّ ، و عجز ، و نقص ، و إن جاء به أحدهم جاء ركيكا باردا تمجّه الأسماع ، و تنبو عنه الأذواق . حتّى جاء من عند الله تبارك و تعالى إعجازاً ، و جمالا تجمّلت به آيات الدّكر الحكيم ، و تزيّنت ، فهو حقّاً تنزيل ربّ العالمين .

ثانياً : التّكرار في المعاني ، و من ذلك تكرار قصص بعض الأنبياء عليهم الصّلاة و السّلام ، و قصص الأمم الغابرة التي كذّبت رسلها ، و ما كان جزاؤها من الله تعالى . و تكرار عظيم قدرة

الله تعالى في الخلق . و ما أعدّه الله تبارك و تعالى لعباده الصّالحين في جنّات النّعيم . وغير ذلك من المعاني التي تكرّرت في كتاب الله تعالى بألفاظ و صور مختلفة ، يطنب في بعض ، و يوجز في بعض لحكمة أرادها الله تبارك و تعالى ، يعلمها من تدبّر تلك الآيات ، و أعاد النّظر فيها مرّة بعد مرّة .

و أكثر القصص تكرارا في كتاب الله تعالى ما كان من حال نبيّ الله موسى بن عمران عليه السّلام مع بني إسرائيل ، و قد بيّن الجاحظ (ت 255 هـ) أنّ الله تبارك و تعالى قد بسط القول في حكاياته عن بني إسرائيل ، و كرّر الكلام ، و القصص عنهم ، مبالغة في إفهامهم ، على غير ما نجده عند الحديث عن العرب و أحوالهم ، يقول : " و رأينا الله تبارك و تعالى إذا خاطب العرب ، و الأعراب أخرج الكلام مخرج الإشارة ، و الوحي ، و الحذف . و إذا خاطب بني إسرائيل ، أو حكى عنهم ، جعله مبسوطا ، و زاد في الكلام " (1) . ليدلّ هذا على مكانة التكرار ، و أثره في إيصال المعنى بتلويين الألفاظ ، و مخاطبة كلّ بما يحتاجه من أساليب الكلام ، ليجد كلّ سامع ما يستطيع فهمه من كلام الله تعالى على اختلاف أحوال النّاس ، و مراتبهم .

و من فوائد التكرار أنّه يؤكّد الإحاطة ، و التّمكّن من البناء اللّغويّ ، و الصّرفيّ ، و النّحويّ لدى السّامع ، و يظهر له طريقة العرب في بناء كلامها لكثرة سماعه ، ثمّ القياس من بعد على ذلك . و نورد على ذلك مثلا في البناء النّحويّ ، إذ يتمكّن السّامع من عمل لا النّاهية لتكرار عملها في معمولاتها ، كما في قوله تعالى : ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ عَلَيْكُمْ

عَلَيْكُمْ إِلَّا تَشْكُرُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِمَّنْ إِمْلَقِي نَحْنُ

¹ . الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، (1965). الحيوان، تحقيق: عبدالسلام هارون، ط 2، القاهرة: شركة و مطبعة مصطفى البابي الحلبي و أولاده، ج 1 : 94 .

نَزُّقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي

حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكَُمْ وَصَّكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ الأنعام : 151 .

فالسَّامع يذلّ لسانه بقراءة : لا تشركوا ، و لا تقتلوا ، و لا تقربوا ، و لا تقتلوا . و يتأكّد في ذهنه عمل لا النّاهية في الفعل المضارع بعدها ، ثمّ يسهل عليه البناء على هذه القاعدة ، فيقول قياساً على هذا : لا تشربوا ، و لا تسرقوا ، إلى غير ذلك ، كما ينبو سمعه عن خلاف هذه القاعدة ، و لا يقبل بناء آخر يخالف هذه القاعدة ، فلو سمع قائلاً يقول ناهياً : لا تسمعون ، لعلم أنّ هذا من اللّحن الذي يجري على غير قياس في لغة العرب . و يبدو لنا من ذلك ما للتكرار من أثر في تقويم اللسان حتّى يدرج في طريق اكتساب اللّغة بكلّ يسر و سهولة ، و تحصل الملكة اللّغويّة التي تكفل الله تعالى بحفظها لتحتفظ لنا هذا الكتاب الكريم على مرّ الزّمان .

و من فوائد التّكرار أيضاً ربط الكلام بعضه ببعض إذا طالت العبارة ، و احتيج إلى التّذكير ببادئ القول بعد طول الفصل تجديداً لعهد ، و تذكيراً به ، كما في قوله تعالى :

﴿ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَنُوتُوا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِّنَ

الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾ آل عمران : 188 .

فقد تكرر لفظ (لا تحسبن) لطول الفصل بين اللفظ الأوّل و ما يتعلّق به من تمام المعنى بألفاظ أخرى قد تكون أنست السّامع ما بدئ به الكلام ، فكرر اللفظ للربط بين اللفظ الأوّل و متعلقاته ، خشية أن يكون الدّهن قد غفل عمّا ذكر أولاً .

و مثله قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِن بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ

جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٠﴾ النحل : 110 .

و قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمَلُوا الشُّوْءَ بِجَهَلَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ

وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١٩﴾ النحل : 119.

و قوله تعالى : ﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ

يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ

﴿١٨٩﴾ البقرة : 89 .

و قوله تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ

رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴿٤﴾ يوسف : 4 .

فانظر إلى الحكمة البليغة في الخطاب القرآني الكريم الذي حرص على البيان ، و التبيين

في آياته الكريمة التي كان بيانها رحمة من الله تعالى ليفهم الناس على ربهم بأسهل اللغات ،

و أيسر الألفاظ و المعاني ، و الأساليب . و صدق الله العظيم القائل : ﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴿١٩﴾

القيامة : 19.

المظهر الثالث : نزول القرآن الكريم على سبعة أحرف .

و هذا مظهر آخر من مظاهر تيسير لغة القرآن الكريم على الناس ، وفيه رحمة من الله تبارك و تعالی في قراءة هذا الكتاب العزيز ، إذ كانت قبائل العرب تختلف في نطق بعض الكلمات ، و تميل إلى ما اعتادت عليه من الكلام . كما كان يصعب على بعضهم الانتقال إلى لهجة غير لهجة قومهم ، و لسان غير لسانهم الذي نشؤوا عليه ، و لو جاهدتهم المعلم بالعلاج في تغيير ما ألفوه من القول . و خاصة إن كان هذا شيخاً أو امرأة . يقول ابن جنّي (ت 392 هـ) ، رواية عن أبي حاتم السّجستاني في كتابه الكبير في القراءات ، قال : " قرأ عليّ أعرابيّ بالحرم : ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحَسَنُ مَا بِمَنَآبِ

﴿ ٢٩ ﴾ الرَّعْد : 29 . فقرأ : (طيبي لهم و حسن مأب) ، فقلت : طوبي ، فقال : طيبي ،

فقلت : طوبي ، فقال : طيبي ، فلما طال عليّ قلت : طو طو ، فقال : طي طي . أفلا ترى إلى هذا الأعرابيّ ، و أنت تعتقده جافياً كزّاً ، لا دمثاً ، و لا طييعاً ، كيف نبا طبعه عن ثقل الواو إلى الياء ، فلم يؤثر فيه التلقين ، و لا ثنى طبعه عن التماس الخفة هزّاً ، و لا تمريناً . و ما ظنك به إذا خلّي مع سومه ، و تساند إلى سليقته و نجره ؟ " (1) .

و في أيّامنا هذه نجد من الناس من يصعب بل من يستحيل عليه الانتقال إلى نطق بعض الألفاظ التي لم يعتد عليها ، و لم يألفها ، و لو أعانه على ذلك أهل العلم ، و عالجه بكلّ ما استطاعوا من طرق تقويم اللسان . و قد جلسنا إلى بعض (القرويين المصريين) الذين اعتادوا على استبدال حرف الزّاي بالذّال ، فيقول في (الذين) (الزين) ، و جهدنا جهدنا لينتقل لسانه إلى لفظ الذّال فلم نفلح ، و باءت كلّ معالجاتنا له بالفشل ، و بقي على لهجته التي وجد عليها

1 . ابن جنّي ، الخصائص ، ج1 : 76 - 77 .

آبائه و أجداده . و أذكر من ذلك أنّ جدّي - رحمه الله تعالى - مات و لم يستطع أن يلفظ اسم حفيده (رأفت) على الرّغم من محاولات أبناؤه العديدة في تلقينه هذا الاسم ، و لكن دون جدوى .
و من رحمة الله تعالى بعباده أنّه لم يلزمهم بحرف واحد في قراءة القرآن ، لما كان عليه اختلاف لغات العرب ، لذا أنزل القرآن الكريم على سبعة أحرف . وقد بيّن الرسول صلّى الله عليه و سلّم نزول القرآن الكريم على سبعة أحرف في أكثر من حديث ، و من ذلك قوله صلّى الله عليه و سلّم : " أقرّني جبريل على حرف فراجعتة ، فلم أزل أستزيده و يزيدني حتّى انتهى إلى سبعة أحرف " (1) .

و الحرف لغة هو الوجه ، قال الله تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ

خَيْرٌ أطمأنّ بهٗ وَإِنْ أَصَابَهُ فِتْنَةٌ أُنْقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ

﴿ الحجّ : 11 .

فالمراد هنا بالحرف الوجه ، أي على النّعمة ، و الخير ، و إجابة السّؤال ، و العافية ، فإذا استقامت له هذه الأحوال اطمأنّ ، و عبّد الله ، و إذا تغيّرت عليه ، و امتحنه الله بالشّدّة ، و الضّرّ ، ترك العبادة ، و كفر . فهذا عبّد الله على وجه واحد (2) .

و يبيّن ابن قتيبة (ت 276 هـ) معنى الحرف لغة بقوله : " و الحرف يقع على المثال

المقطوع من حروف المعجم ، و على الكلمة الواحدة ، و يقع الحرف على الكلمة بأسرها ، و الخطبة كلّها ، و القصيدة بكاملها " (3) .

¹ . البخاري، الصّحيح ، ج 6 : 227 .

² . انظر: ابن قتيبة ، أبو محمّد عبدالله بن مسلم (1973). تأويل مشكل القرآن، شرح: السيّد أحمد صقر، ط 2 ، القاهرة: مكتبة دار التّراث ، ص 34-36 .

³ . السابق، ص 35 .

و لذا فرّق النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بين الحرف المعروف عند العرب بواسع دلالاته المعجميّة ، و الحرف الَّذِي هو المثل المقطوع من حروف المعجم ، فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة ، و الحسنة بعشر أمثالها ، لا أقول ﴿الْم﴾ حرف ، و لكن ألف حرف ، و لام حرف ، و ميم حرف " (1) . لئلا يظنّ ظانّ أنّ الحرف يراد به الكلمة ، أو الآية ، أو السورة ، أو ما شاء الله أن يرد في خاطر العربيّ آنذاك من فهم لمعنى الحرف الَّذِي كان يفهم عند ذكره .

و قد يراد بالحرف العلامة الإعرابيّة كالضمّة ، و الفتحة ، و الكسرة ، و غيرها ، و تسمّى هذه الحركة حرفاً ؛ لأنّها تنقل وجه الكلام من معنى إلى آخر ، كما جاء في قول يحيى بن يعمر (ت 129 هـ) عندما سأله الحجاج عن لحنه ، فقال يحيى : " تلحن في حروف . قال : فأين ؟ قال : في القرآن . قال : ذاك أشنع له ، ما هو ؟ قال : تقول : ﴿ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِّنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ (٢٤) التوبة : 24 . تقرؤها بالرفع . قال : لا جرم ! لا تسمع

لي لحن ، فألحقه بخراسان ، و فيها يزيد بن المهلب " (2) . فالحرف كما يراه يحيى بن يعمر هو حركة كلمة (أحب) التي جاءت خبراً للفعل الناقص (كان) فوجب نصبها (أحب) ، و كان

¹ . الترمذيّ، الجامع، ج5 : 33 .

² . القفطيّ، أبو الحسن علي بن يوسف جمال الدّين (1986). إنباه الرّواة على أنباه النّحاة، تحقيق: محمّد أبو

الفضل إبراهيم، القاهرة: دار الفكر العربيّ ، ج4 : 26 .

الحجاج يقرؤها بالرفع (أحبُّ) توهمًا منه أنها تابعة لـ (آباءُ ، و أبناءُ ، و إخوانُ ، و أزواجُ ، و عشيرةُ ، ... و مساكنُ) في الرفع لما طال عليه الكلام .

و أمّا تعريف الأحرف اصطلاحاً :

الأحرف اصطلاحاً : الأوجه ، يقول ابن حجر (ت 852 هـ) في شرح صحيح البخاريّ :
 " قوله : (باب أنزل القرآن على سبعة أحرف) أي على سبعة أوجه يجوز أن يقرأ بكلّ وجه منها ،
 و ليس المراد أنّ كلّ كلمة ، و لا جملة منه تقرأ على سبعة أوجه ، بل المراد أنّ غاية ما انتهى
 إليه عدد القراءات في الكلمة الواحدة إلى سبعة " (1) .

و يعرفها ابن قتيبة (ت 276 هـ) بقوله " و إنّما تأويل قوله صلّى الله عليه و سلّم :
 (أنزل القرآن على سبعة أحرف) على سبعة أوجه من اللّغات متفرقة في القرآن " (2) .

و يقول كذلك : " و قيل : ليس المراد بالسبعة حقيقة العدد ، بل المراد التسهيل
 و التيسير " (3) .

و قد أجمع العلماء على أنّ من حكم تعدّد وجوه القراءة التيسير على الناس في قراءة القرآن
 الكريم بالحرف الذي يستطيعونه دون إلزامهم بحرف واحد .

يقول ابن الجزريّ (ت 833 هـ) : " فأما سبب وروده على سبعة أحرف ، فالتخفيف
 على هذه الأمة ، و إرادة اليسر بها ، و التهوّن عليها ... و ذلك أنّ الأنبياء عليهم السّلام
 كانوا يبعثون إلى قومهم الخاصين بهم ، و النّبّيّ صلّى الله عليه و سلّم بعث إلى جميع الخلق
 أحرها ، و أسودها ، عربيّها ، و عجميّها ، و كانت العرب الذين نزل القرآن بلغتهم لغاتهم

¹ . ابن حجر ، فتح الباري ، ج 10 : 20 .

² . ابن قتيبة ، المشكل ، ص 34 .

³ . السابق .

مختلفة ، و أسنتهم شتّى ، و يعسر على أحدهم الانتقال من لغته إلى غيرها ، أو من حرف إلى آخر " (1) .

و يقول ابن قتيبة (ت 276 هـ) : " فكان من تيسيره (يعني الله تعالى) أن أمره (يعني نبيّه صلى الله عليه و سلّم) بأن يقرئ كلّ قوم بلغتهم ، و ما جرت عليه عادتهم ، فالهذليّ يقرأ (عتّى حين) يريد (حتّى حين) ؛ لأنّه هكذا يلفظ بها ، و يستعملها . و الأسيديّ يقرأ (تعلمون ، و تعلم ، و تسودّ وجوه ، و ألم إعهد إليكم) . و التميميّ يهمز ، و القرشيّ لا يهمز ... إلى أن يقول : ولو أنّ كلّ فريق من هؤلاء أمر أن يزول عن لغته ، و ما جرى عليه اعتياده طفلاً ، و ناشئاً ، و كهلاً ، لاشتدّ ذلك عليه ، وعظمت المحنة فيه ، و لم يمكنه إلاّ بعد رياضة للنفس طويلة ، و تذليل للسان ، و قطع للعادة ، فأراد الله برحمته ، و لطفه أن يجعل لهم متّسعا في اللّغات ، و متصرّفا في الحركات ، كتيسيره عليهم في الدّين " (2) .

و ليس المراد بالأحرف السبعة سبع لغات بعينها من لغات العرب ، و يؤكّد هذا الرّأي حديث عمر بن الخطّاب رضي الله عنه ، في قوله : " سمعت هشام بن حكيم بن حزام يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله صلى الله عليه و سلّم ، فاستمعت لقراءته فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يقرئها رسول الله صلى الله عليه و سلّم ، فكذت أساوره في الصّلاة ، فتصبّرت حتّى سلّم ، فلبّيته بردائه ، فقلت : من أقرأك هذه السّورة التي سمعتك تقرأ ؟ قال : قرأنيها رسول الله صلى الله عليه و سلّم ، فقلت : كذبت ، فإنّ رسول الله صلى الله عليه و سلّم قد قرأنيها على غير ما قرأت . فانطلقت به أقوده إلى رسول الله صلى الله عليه و سلّم ، فقلت : إنّي سمعت هذا يقرأ بسورة الفرقان على حروف لم تقرئها ، فقال رسول الله صلى الله عليه

¹ . ابن الجزريّ، النّشر في القراءات العشر، ج 1 : 22 .

² . ابن قتيبة، المشكل، 39 - 40 .

و سلّم : أرسله . اقرأ يا هشام ، فقرأ عليه القراءة التي سمعته يقرأ ، فقال رسول الله صلّى الله عليه و سلّم : كذلك أنزلت . ثم قال : اقرأ يا عمر ، فقرأت القراءة التي أقراني ، فقال رسول الله صلّى الله عليه و سلّم كذلك أنزلت ، إنّ هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف ، فاقروا ما تيسر منه " (1) .

و في هذا دليل على أنّ المقصود بالأحرف الأوجه ، و ليس اللغات ؛ لأنّ عمر بن الخطّاب و هشام بن حكيم رضي الله عنهما قرشيّان ، ولغتهما واحدة ، فدلّ ذلك على أنّ الاختلاف في القراءة لم يكن من باب اختلاف اللّغة ، و إنّما هو اختلاف في وجوه القراءة .

و لذا قال ابن عبد البرّ (ت 463 هـ) : " و أنكر أكثر أهل العلم أن يكون معنى حديث النّبّي صلّى الله عليه و سلّم : (أنزل القرآن على سبعة أحرف) : سبع لغات ، و قالوا : هذا لا معنى له ؛ لأنّه لو كان ذلك لم ينكر القوم في أول الأمر بعضهم على بعض ؛ لأنّه من كانت لغته شيئاً قد جبل ، و طبع عليه ، و فطر به لم ينكر عليه ، و في حديث مالك عن ابن شهاب المذكور في هذا الباب - و هو الحديث السّابق في اختلاف عمر و هشام - ردّ قول من قال : سبع لغات ؛ لأنّ عمر بن الخطاب قرشيّ عدويّ ، و هشام بن حكيم بن حزام قرشيّ أسديّ ، و محال أن ينكر عليه عمر لغته ، كما محال أن يقرئ رسول الله صلّى الله عليه و سلّم واحداً منهما بغير ما يعرفه من لغته ، و الأحاديث الصّاح المرفوعة كلّها تدلّ على نحو ما يدلّ عليه حديث عمر هذا ، و قالوا : إنّما معنى السّبعة الأحرف : سبعة أوجه من المعاني المتّفقة المتقاربة بألفاظ مختلفة ؛ نحو: أَقْبِلْ ، وَتَعَالَ ، وَهَلُمَّ ، و على هذا الكثير من أهل العلم " (2) .

¹ . البخاريّ، الصّحيح ، ج 6 : 227-228 .

² . ابن عبد البرّ، أبو عمر يوسف بن عبدالله القرطبيّ (1967). التّمهيد لما في الموطأ من المعاني و الأسانيد، تحقيق: مصطفى العلويّ و محمّد البكريّ، المغرب: وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلاميّة، ج 8 : 280-281.

كما يؤكد هذا الرأي ما ذكره السيوطي (ت 911 هـ) من وجود لغات كثيرة في القرآن الكريم تزيد على سبع ، و عدّ منها خمسين لغة (1) .

والذي يظهر لنا من تحليل تلك النصوص أنّ القرآن الكريم أنزل بلغة قريش . و لغة قريش - كما هو معلوم - مصطفاة من أجود لغات العرب و أفصحها ، كما بيّن ذلك الفارابي (ت 339 هـ) نقلا عن بعض العلماء : " و كانت قريش ، مع فصاحتها ، وحسن لغاتها ، و رقة أسنتها ، إذا أتتهم الوفود من العرب تخيروا من كلامهم ، و أشعارهم أحسن لغاتهم ، و أصفى كلامهم ، فاجتمع ما تخيروا من تلك اللغات إلى نحائهم ، و سلاتهم التي طبعوا عليها ، فصاروا بذلك أفصح العرب " (2) . ولما كثر دخول غير القرشيين في الإسلام من العرب ، و غيرهم ، كان الفضل من الله تبارك و تعالى بقراءة القرآن على تلك الوجوه السبعة التي ذكر رسول الله صلى الله عليه و سلم تيسيرا ، و تخفيفا على العرب ، و غيرهم في قراءة القرآن الكريم ، شريطة أن تكون هذه الأحرف قد سمعت من رسول الله صلى الله عليه و سلم ، و تواترت قراءتها عن السلف الصالح ، لا أن يأتي أحد بحرف من تلقاء نفسه ، و يعدّه من كلام الله تعالى دون أن تكون قد تواترت قراءته عن رسول الله صلى الله عليه و سلم .

كما يظهر لنا كذلك أنّ هذه الأحرف السبعة التي ذكر رسول الله صلى الله عليه و سلم غير القراءات المشهورة عند أئمة القراء الذين تصل عدّتهم إلى سبعة ، أو عشرة ، أو أكثر ، و إن كانت تدلّ عليها ؛ لأنّ القراء الذين أخذت عنهم القراءة لا يمتثلون تلك الأحرف بكليتها ، و إنّما عدّوا قراء وصار لهم تلاميذ لشهرتهم ، و صلاحهم ، و تلقى الناس لقراءتهم بالرّضا و القبول . و الذي عليه الناس من ذلك هو بعض الحروف السبعة التي نزل بها القرآن الكريم لا كلّها .

1. انظر السيوطي، الإتيان، ج3 : 904 - 932 .

2. ابن فارس، الصحاحي ، ص 28 .

و هذه الاختلافات في الحروف و القراءات لا تنتقل المعنى بين القراءتين ، و لا تضادها ،
و لا تجعل الحرام حلالا ، و لا الحلال حراما ، و لا تجعل الأمر نهيا ، و لا النهي أمرا ، و ما
شابه هذا ، فكلّ من عند الله تعالى ، و لا ينبغي أن يكون شيء من القرآن لقوم دون قوم . و إنّما
وقع الاختلاف بين القراءات في صور محدودة ذكرها العلماء ، ونختصرها في ما يأتي :

1. الاختلاف في إعراب الكلمة ، أو في حركة بنائها بما لا يزيلها عن صورتها

في الكتاب ، و لا يغيّر معناها ، كقوله تعالى : ﴿ ذَلِكْ جَزَيْنَهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ يُجْرَىٰ إِلَّا الْكُفُورُ

﴿ سبأ : 17 ، فقد جاءت في قراءة : ﴿ وهل يُجازى إلا الكفور ﴾ .

2. الاختلاف في إعراب الكلمة ، و حركة بنائها بما يغيّر معناها ، و لا يزيلها عن

صورتها في الكتاب ، كقوله تعالى : ﴿ فَقَالُوا رَبَّنَا بَعْدَ بَيْنِ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ

أَحَادِيثَ وَمَزَقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿ سبأ : 19. و جاءت في

قراءة : ﴿ ربّنا بعد ﴾ .

3. الاختلاف في حروف الكلمة دون إعرابها بما يغيّر معناها ، و لا يزيل صورتها ،

كقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ، حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ

رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿ سبأ : 23 ، و في قراءة ﴿ حتى إذا فزع ﴾ .

4. الاختلاف في الكلمة بما يغيّر صورتها في الكتاب ، و لا يغيّر معناها ، كقوله

تعالى : ﴿ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ ﴿ القارعة : 5 ، و في قراءة

﴿ كالصوف ﴾ .

5. الاختلاف في الكلمة بما يزيل صورتها و معناها ، كقوله تعالى : ﴿ وَطَلِحَ مَنْضُودٍ ﴾

﴿ ٢٩ ﴾ الواقعة : 29 ، فقد قرئت ﴿ و طلع ﴾ .

6. الاختلاف في التقديم و التأخير ، كقوله تعالى : ﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا

كُنْتَ مِنْهُ مَحِيدٌ ﴾ ﴿ ١٩ ﴾ ق : 19 ، و في قراءة ﴿ سكرة الحق بالموت ﴾ .

7. الاختلاف بالزيادة و النقصان ، كقوله تعالى : ﴿ لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ

أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴾ ﴿ ٣٥ ﴾ يس : 35 ، و في قراءة ﴿ و ما عملت أيديهم ﴾ ⁽¹⁾ .

و لما نسخت المصاحف في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه ، و رسمت بالرسم الذي سماه العلماء بعد بالرسم العثماني ، لم تكن منقوطة ، و لا مشكولة على النحو الذي نراه هذا اليوم . و كانت القراءة تختلف من قارئ إلى آخر دون أن يظهر أكثر اختلافها في رسم القرآن ، على الرغم من تشابه رسمها ، و إنما كانت تؤخذ القراءة من أفواه القراء الأولين من الصحابة رضي الله عنهم ، فكان أثر الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن الكريم باديا في رسم المصحف آنذاك ، كقراءة (ننشرها) توافق رسم قراءة (ننشرها) ، و المعتمد في ضبط القراءة آنذاك التلقي من أفواه القراء . و لما نُقِطَ المصحف و سُكِلَ ، تمايزت القراءات ، و ضبطت ، و لكن دون أن تهمل الإشارات إلى تلك الأحرف بفضل ذلك الرسم الذي اختلف في توقيفه و توفيقه .

¹ . انظر: ابن قتيبة، المشكل، ص 36 - 38 .

المظهر الرابع : نزول القرآن الكريم بلغة قريش .

و لقد كان لهذا المظهر أثر واضح في تيسير لغة الخطاب القرآني على الناس ؛ إذ أنزل الله تبارك و تعالى كتابه بلسان عربي مبين ، و اختار الله تبارك و تعالى لسان قريش ليكون لسان القرآن الكريم الذي يخاطب به الناس كافة . و هذه سنة الله تبارك تعالى في إرسال رسله إلى أقوامهم ؛ إذ كان الرسول يبعث بلسان قومه ليبيّن لهم ، و يسهل عليهم الفهم منه ؛ لأنّ الذي أرسل إليهم منهم ، لا من غيرهم ، لئلا يكون لهم الحجة في ردّ دعوته لو كان بغير لسانهم ، و من غير جلدتهم ، يقول الله تبارك و تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلَّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ إبراهيم : 4 .

و أمّا لغة قريش فقد حصل لها ما لم يحصل لغيرها من لغات العرب ، فهي اللّغة التي اصطفت ألفاظها من أجود ما في لغات العرب من ألفاظ ، إذ كانت العرب في جاهليّتها تحجّ بيت الله الحرام ، و تجتمع في أسواق مكّة ، و في كلّ قبيلة من قبائل العرب دفيئة ثمينة حرصت قريش على اقتناصها ، هذه الدفيئة هي الكلمة . تلك الكلمة التي كانت تقام لأجلها الأسواق ، و تتميز بفصاحتها القبائل ، و تحقن بها الدماء ، و يقرى بها الضيف ، و يأنس بها الركب في رحلتهم الطويلة بين الفيافي ، و الفقار .

فلا عجب بعد هذا أن تحرص قريش على ضمّ تلك الألفاظ السّاحرة إلى لغتها ، وتزيّن بها ألسنتها ممّا جعلها لغة تنال إعجاب العرب ، و اعترافهم لها بالفصاحة ، و الفضل . و ما نزول القرآن بهذه اللّغة إلا دليل على إذعان العرب لها ، و قبولهم باللسان الذي لا يفضل لسان . و لو نزل القرآن الكريم بغير لغة قريش لما رفعوا بذلك رأسا ، ولم يرضوا بتلك اللّغة بديلا عن لغتهم ، و كيف يقبل الهذليّ كشكشة هوازن ؟ بل كيف يقبل الرّبيعيّ عنعنة قيس و تميم ؟ و كيف يقبل

القيسيّ فحفحة هذيل ؟ إلا لغة قريش فإنهم يرضون بها لما حوته هذه اللّغة من أجود لغات العرب و أفصحها . و كانت هذه اللّغة بمثابة الأمّ التي تجمع أبناءها ، و تزيل الفوارق فيما بينهم ليكونوا على قلب واحد لا اختلاف بينهم . كما لا ننسى مكانة قريش بين القبائل ، و ما نالته من تعظيم و مهابة لمكانها من بيت الله الحرام ، و مدنيّتها ، و قوتها ، و معلوم أنّ القويّ الحضاريّ يفرض لغته على الضّعيف القرويّ .

و لما أجمع أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه على نسخ القرآن الكريم ، أمر زيد بن ثابت ، و عبدالله بن الزبير ، و سعد بن أبي وقاص ، و عبدالرحمن بن الحارث بنسوخ المصحف ، ثمّ قال للرّهط القرشيّين الثلاثة : إذا اختلفتم أنتم و زيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش ، فإنما نزل بلسانهم (1) .

و كان لنزول القرآن الكريم بلغة قريش دور في تيسير لغة الخطاب القرآنيّ ، و ذلك من وجوه عدّة ، نذكر منها :

أولا : كانت لغة قريش تضمّ في طياتها كثيرا من ألفاظ القبائل العربيّة التي تقصد بيت الله الحرام بالحجّ في جاهليّتها ، و لم تختار قريش من ألفاظ العرب إلا ما كان سهلا على اللسان عند النطق ، و حسنا في حروفه عند السّمع ، و مبينا عمّا في النّفس من معان . فلم يقبلوا عنعنة تميم ، و لا ثلثة بهراء ، و لا كسكسة ربيعة ، و لا كشكشة هوازن ، و لا عجرقيّة ضبّة ، و لا غيرها من عيوب النّطق في لغات العرب . و استحقّت بذلك أعلى مراتب الفصاحة بشهادة القاضي و الدّاني . يقول النّبّيّ صلّى الله عليه و سلّم : " أنا أفصح العرب بيد أنّي من قريش و نشأت في بني سعد ، و استرضعت في بني زهرة " (2) .

¹ . انظر: الزّركشيّ، البرهان، ص 330 .

² . ابن حجر، فتح الباري، ج 4 : 14 .

و يقول السيوطي (ت 911 هـ) رواية عن إسماعيل بن أبي عبيد : " أجمع علماؤنا بكلام العرب ، و الزّواة لأشعارهم ، و العلماء بلغاتهم ، و أيّامهم ، و محالّهم أنّ قريشا أفصح العرب ألسنة ، و أصفاهم لغة " (1) .

و كان لهذا الأمر أثره في تسهيل تلك اللّغة ، فهي منتقاة من أسهل ما في اللّغات ، و مطّرحه كلّ ما يصعب نطقه من رديء اللّغات . هذا من جهة ، و من جهة أخرى فقد وجد غير القرشيين في لغة قريش بعضا من لغاتهم التي ألفوها في قبائلهم ممّا سهّل عليهم قبول تلك اللّغة ، و استبدال اللّغة الأكمل و الأجمل بها .

ثانيا : كان الفضل من الله تعالى على العرب أن جمعهم على لغة واحدة يتداولونها في ما بينهم ليسهل عليهم التّواصل اللّغويّ في معاملاتهم ، و مخاطباتهم ، دون أن يكون هناك كبير اختلاف في الاتّصال اللّغويّ كالذي عرفناه بين القبائل قبل الإسلام ، هذا الاختلاف الذي أدّى في بعض المواقف إلى أن يفقد المرء حياته نتيجة الفهم الخاطئ للغة الآخر ، فقد ذكر ابن فارس (ت 395 هـ) " أنّ زيد بن عبدالله بن دارم وفد على بعض ملوك حمير ، فألفاه في متصيّد له على جبل مشرف ، فسلمّ عليه ، و انتسب له ، فقال له الملك : ثب . أي اجلس ، و ظنّ الرّجل أنّه يأمره بالوثوب من الجبل ، فقال : ستجديني أيّها الملك مطواعا . ثمّ وثب من الجبل فهلك . فقال الملك : ما شأنه ؟ فخبّروه بقصّته ، و غلظه في الكلمة ، فقال : أما إنّه ليست عندنا (عربيّت) ، من دخل ظفار حمّر ، أي فليتعلّم الحميريّة " (2) .

و بعد ظهور القرآن الكريم على الكلم كلّه ، و بعد أن دانت العرب بالإسلام و لغة القرآن ، ذابت تلك الفروق اللّغويّة ، و حلّ محلّها لغة واحدة جعلت الحجازي يفقه قول النّجدي ، و اليماني

¹ . السيوطي، أبو الفضل عبدالرحمن بن الكمال بن محمّد(ب.ت). المزهري في علوم اللّغة و أنواعها، تحقيق: محمّد

جاد المولى و محمّد أبو الفضل إبراهيم و علي البجاوي، القاهرة: دار الفكر، ج 1 : 210 .

² . ابن فارس، الصّاحبي، ص 27-28 .

على الشّاميّ ، و المصريّ على العراقيّ ، في توحيد لغويّ لم يسبق له مثيل في حضارات الأمم ، و لتكون هذه اللّغة هي اللّغة المشتركة (الفصيحة) ليس بين العرب فحسب ، و إنّما بين المسلمين عامّة على اختلاف أجناسهم ، و مشاربهم ، و بيئاتهم .

يقول كمال بشر : " كان اختيار القرآن الكريم لهذه اللّغة المنضبطة الحدود و الرّسوم ذا حكمة بالغة ، و أهميّة قصوى في خدمة العربيّة ذاتها ، ذلك أنّ هذا الاختيار كان عاملا حاسما في تيسير تعرّفها ، بل و تعلّمها ، و إجادتها ، و التّعامل بها حتّى استقرّت في النّهاية لغة رسميّة " (1) .

و في أيّامنا هذه نرى ذلك الأثر واضحا في لغة الحوار بين العرب أنفسهم ، فهم على وحدة لغتهم العربيّة لهم لهجات محلّية في كلّ دولة ، و في كثير من المواقف يستغلق عليهم الفهم بعضهم من بعض . فهذا العربيّ في الأردنّ مثلا إذا سمع المغربيّ في تونس ، أو الجزائريّ يتكلّم بلهجته المحليّة فلعلّه يعي من كلامه العشر أو أقلّ منه ، و قس ذلك على الكثير من لهجات الدّول العربيّة . بل إنّنا نجد تلك الغربة اللّغويّة في الدّولة الواحدة إذا اتّسعت رقعتها الجغرافيّة ، على غرار ما نجد في دولة مثل مصر ، حيث اختلاف تلك اللّغة بين القاهريّ و الأسيوطيّ .

في حين أنّ الجميع لا يجدون أيّ مشقّة في التّواصل اللّغويّ إذا كان هذا التّواصل باللّغة المشتركة (الفصيحة) التي أشرنا إليها آنفا .

ثالثا : و ممّا يجعل لغة الخطاب أيسر انتظام قواعد النّحويّة ، الذي يجعل سامع تلك اللّغة ، و متعلّمها لا يكابد في انتحاء سمتها ، و القياس على أصولها ، و لو أنّ لغة أريد تعلّمها ، و تعليمها كانت كثيرة التّغيير في قواعد النّحويّة ، كثيرة اختلاف مقاييس تلك القواعد ، لكان من الصّعوبة على المعلّم تعليم تلك اللّغة ، و على المتعلّم فهم تلك اللّغة . و نضرب لذلك مثلا في

¹ . بشر، كمال(1997). علم اللّغة الاجتماعيّ، ط3 ، القاهرة: دار غريب للطّباعة و النّشر ، ص 298 .

باب حروف الجرّ ، فلو أنّنا علّمنا أحدهم أنّ حروف الجرّ تختص بالدخول على الأسماء ، ثمّ تبين بعد للمتعلّم أنّ في لغات العرب من يدخل بعض حروف الجرّ على الأفعال لأوقعنا هذا المتعلّم في حيص بيص ، و لحصل له من الالتباس ما يضيق به ذرعا ، و لا يستطيع له دفعا .

و قد حكم علماء اللّغة قديما على مثل تلك اللّغات بالرداءة لما تسببه من الالتباس ، و الشذوذ . و من تلك اللّغات لغة (أكلوني البراغيث) التي تجعل للفعل فاعلين ، و الفصاحة تقتضي أن يكون للفعل فاعل واحد يُعطف عليه الفاعلون بعد ، أمّا أن يُجعل للفعل فاعلان فهذا مناف للفصاحة التي تقتضي بيان المعنى بالأقلّ من اللفظ .

و لغة مثل لغة (أكلوني البراغيث) تودي بالقاعدة النحويّة ، و تسبّب الحرج في تخريج الحجّة لمثل تلك الظاهرة ، و تخالف ما درج عليه عامّة العرب في أقوالهم . أمّا لغة قريش فامتازت عن سائر لغات العرب باطراد قواعد النحويّة ، و بها نزل القرآن الكريم ليسهل على النّاس تعلّم تلك اللّغة المنضبطة الحدود و القواعد . و قد بُرئ القرآن الكريم من وجود تلك اللّغات المذمومة فيه ، و ردّ علماء النّحو على من ادّعى وجود شواهد للغة البراغيث في القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسْرَأُ النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشْرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ

السِّحْرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٣﴾ الأنبياء : 3 .

فقد بين الأفغاني أنّ هذه الآية ليست بلغة (أكلوني البراغيث) التي تجعل للفعل فاعلين ، فالفعل (أسر) فاعله الضمير المتصل (واو الجماعة) حسب . و أمّا الاسم الموصول (الذين) فليس بفاعل له ، بل هو فاعل لفعل محذوف . يقول الأفغاني : " ف (الذين) ليست فاعلا لـ (أسروا) ، و الواو في (أسروا) لا تعود إلى (الذين) كما توهموا ، بل إلى (النّاس) الواردة

في أول الكلام . أمّا (الذين) فهي فاعل لـ (قال) المحذوفة ، كما يرد كثيرا في القرآن الكريم
بإثبات المقول ، و حذف فعل القول " (1).

¹ . الأفغانيّ، سعيد بن محمّد (1994). في أصول النّحو، دمشق: مديريّة الكتب و المطبوعات الجامعيّة، ص 69.

المظهر الخامس : الاقتصاد في الألفاظ ، و وفرة المعاني .

و ممّا اختصّ به الخطاب القرآنيّ الكريم مخاطبة النَّاس بجوامع الكلم ، و هذا ما يسهّل على السّامع فهم المعنى العامّ للخطاب الكريم . و هذا النوع من الكلام سمّاه علماء اللّغة بـ (الأشباه و النظائر) أو (الوجوه و النظائر) .

و الوجوه كما يعرفها السيوطيّ (ت 911 هـ) : " اللفظ المشترك الذي يستعمل في عدّة معان كلفظ الأُمَّة . و النظائر كالألفاظ المتواطئة " (1) .

وهذا من بلاغة القرآن الكريم الذي يكثر فيه الاقتصاد في الألفاظ مع وفرة معانيها دون تفريط أو تطويل . بل إنّ تلك الألفاظ على قلّتها تزيد على الإفهام ، و توصل المعنى وافرا غير منقوص ، ليتسنى للسّامع اجترار تلك المعاني بكلّ يسر و سهولة . و في ذلك يقول السيوطيّ (ت 911 هـ) : " و قد جعل بعضهم ذلك من أنواع معجزات القرآن ، حيث كانت الكلمة الواحدة تتصرف إلى عشرين وجها ، أو أكثر ، أو أقلّ ، و لا يوجد ذلك في كلام البشر " (2) .

ثمّ يعطي على ذلك مثلا بقوله : " فمنه الهدى سبعة عشر حرفا بمعنى البيان ، و الدّين ، و الإيمان ، و الدّاعي ، و الرّسل ، و الكتب ، و المعرفة ، و الرّشاد ، و محمّد عليه الصّلاة و السّلام ، و الهدى ، و القرآن ، و التّوراة ، و الاسترجاع ، و الحجّة ، و التّوحيد ، و السنّة ، و الإصلاح ، و الإلهام ، و التّوبة " (3) .

و هذه الأشباه و النظائر كثيرة الدّكر في آيات القرآن الكريم ، و ما على المخاطب إلّا اختيار ما يتيسّر له من معاني تلك النظائر المتعدّدة التي لا تقيد هذا اللفظ بمعنى واحد لا سواه . و نختار من هذه النظائر مثلا كلمة (الدّين) التي تحمل في طياتها الكثير من المعاني التي قد

1. السيوطيّ، الإيقان، ج 3 : 975-976 .

2. السابق.

3. السابق، 93 - 94 .

تخطر في بال السامع ، و كلّ هذه المعاني صحيحة ، و متأولها مصيب غير مخطئ أيّا كان تفسيره لها ، كأن يقع في نفسه أنّ الدّين هو الإسلام ، أو القرآن ، أو الصلّاة ، أو الزّكاة ، أو الحجّ ، أو الصّيام ، أو الأخلاق الحسنة ، أو ما إلى ذلك من الأعمال التي تسمّى ديناً ، ليتمكّن السامع من فهم المعنى العامّ لهذا اللفظ ، ثمّ الاختيار ممّا يتيسّر عليه من معاني هذا الدّين ، و هذا من خصائص القرآن الكريم إذ يكون للفظ الواحد أكثر من وجه ، و هو الأمر الذي جعل علي بن أبي طالب رضي الله عنه يوصي ابن عبّاس رضي الله عنهما لما أرسله إلى الخوارج بأن لا يحاجّهم بالقرآن الكريم ، و لكن بالسنة ؛ لأنّ القرآن الكريم حمّال ذو وجوه (1).

و من هذه الأشباه و النظائر في كتاب الله تعالى :

* البرّ ، في قوله تعالى : ﴿ تَيْسَ أَلْبَرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ أَلْبَرَ مَنْ

ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ

وَأَيْتَمَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَأَبْنَى السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُؤْتُونَ

بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ

الْمُنْقَوُونَ ﴿١٧٧﴾ البقرة : 177 .

و في قوله تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِئُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ

أَلْبَرٌ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ أَلْبَرَ مَنْ أَتَىٰ مِنْ أَتَىٰ وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَأَتَقُوا

اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٨٩﴾ البقرة : 189 .

1. انظر السيوطي، الإتقان، 3 : 977 .

و في قوله تعالى : ﴿ لَنْ نَأْتِيَ بِالْبِرِّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ

عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾ آل عمران : 92 .

و في قوله تعالى : ﴿ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحْلُوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ

وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا ءَامِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ يَبْنِعُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ

شَتَانُ قَوْمٍ أَن صَدَّوْكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا

عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢﴾ المائدة : 2 .

و للبرّ معان كثيرة يغني بعضها عن بعض ، لاشتراكها في المعنى العام ، و من هذه

المعاني غير ما ذكر في الآيات السابقة :

* حسن الخلق : لقوله عليه الصلّاة و السّلام : " البرّ حسن الخلق " (1) .

* الإحسان و الطّاعة : لقوله عليه الصلّاة و السّلام جوابا لأحبّ العمل إلى الله : " برّ

الوالدين " (2) .

* الأجر و المثوبة : كقول طلحة رضي الله عنه لرسول الله صلّى الله عليه و سلّم في

إنفاقه (بيريحي) : " أرجو برّها و نخرها عند الله " (3) .

* الصلّاح و الخير : كما بيّنه صاحب لسان العرب في تفسير قوله عليه الصلّاة

و السّلام : " عليكم بالصدّق فإنّ الصدّق يهدي إلى البرّ . يقول : " قال شمر : اختلف العلماء في

1. التّرمذيّ، الجامع، ج 4 : 196 .

2. البخاريّ، الصّحيح، ج 2 : 8 .

3. مسلم، المختصر، ص 156-157 .

تفسير البرّ، فقال بعضهم : البرّ الصّلاح . و قال بعضهم : البرّ الخير . قال : و لا أعلم تفسيراً أجمع منه ؛ لأنّه يحيط بجميع ما قالوا " (1) .

فإن تأوّل السّامع كلمة البرّ بأيّ من هذه المعاني فلا جناح عليه ، و لا يخالفه أحد في فهمه الخاصّ لهذا اللفظ أيّا كان ظنّه في معناه ، و هذا رحمة من الله تعالى ، و تخفيف على النّاس الذين تتفاوت أفهامهم في الوصول إلى معنى هذه الألفاظ ، فالعالم يتوسّع في معنى هذه النظائر بما آتاه الله تعالى من علم ، و الجاهل مهتما ضاق علمه فلن يوصل إلى شيء من هذه المعاني التي وسّع الله تعالى على النّاس في معانيها ، و فهمها .

و من هذه الأشباه :

* الهدى ، في قوله تعالى : ﴿ وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَبِيعَ مِلَّتَهُمْ ۗ ﴾

قُلْ إِنْ هَدَى اللَّهُ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنْ أَتَبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا

نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾ البقرة : 120 .

و في قوله تعالى : ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ

مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ

مِّنْ أَيْامٍ أُخْرَىٰ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا

اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَيْكُمْ وَعَلَّامٌ لِّلْغُيُوبِ ﴿١٨٥﴾ البقرة : 185 .

¹ . ابن منظور، لسان العرب ، (مادة : برر) .

و في قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنْ اِسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْنِيَنَّ نَفَقًا فِي

الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ ۚ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ

﴿ ٣٥ ﴾ الأنعام : 35 .

و في قوله تعالى : ﴿ قُلْ ائْتِنَا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ

إِذْ هَدَيْنَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانًا لَهُ ۚ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَىٰ الْهُدَىٰ ائْتِنَا قُلْ

إِنِّي هُدَىٰ اللَّهُ هُوَ الْهُدَىٰ وَأَمْرًا لِنُسَلِّمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿ ٧١ ﴾ الأنعام : 71 .

و في قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَىٰ الْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ

صٰمِتُونَ ﴿ ١٩٣ ﴾ الأعراف : 193 .

و في قوله تعالى : ﴿ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا

رَسُولًا ﴿ ٩٤ ﴾ الإسراء : 94 .

و في قوله تعالى : ﴿ فَأَنبِأَهُمْ فَقَوْلًا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تَعَذِّبْهُمْ قَدْ

جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَيْنَا مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَىٰ ﴿ ٤٧ ﴾ طه : 47 .

و من هذه الأَشْبَاهِ أَيضًا : المعروف و المنكر ، و الخير و الشر ، و الحق و الباطل ،

و الطاعة و المعصية ، و الفاحشة ، و غيرها .

و قد أشار النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى هَذَا النَّوْعِ فِي كِتَابِ اللهِ تَعَالَى فِي قَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ : " كَلَّ حَرْفٌ فِي الْقُرْآنِ يَذْكَرُ فِيهِ (الْقَنْوَتُ) فَهُوَ الطَّاعَةُ " (1) .

و الَّذِي كَانَ سَائِدًا فِي لُغَةِ الْعَرَبِ أَنْ تَتَعَدَّدَ مَسْمِيَّاتُ الْأَعْيَانِ ، فَنَجِدُ لِعَيْنِ الشَّيْءِ أَكْثَرَ مِنْ اسْمٍ وَاحِدٍ ، وَ هُوَ الْمَعْرُوفُ عِنْدَ عُلَمَاءِ الْعَرَبِيَّةِ بِالْمُتَرَادِفِ ، أَي تَرَادُفُ لَفْظَيْنِ فَأَكْثَرَ عَلَى مَعْنَى وَاحِدٍ ، فَيَقَامُ أَحَدُ اللَّفْظَيْنِ مَقَامَ الْآخَرِ لِمَعَانٍ مُتَقَابِرَةٍ . أَوْ الْمُتَوَارِدِ ، وَ هُوَ إِطْلَاقُ الْأَسْمَاءِ عَلَى الْمَسْمَى الْوَاحِدِ لِلْمَعْنَى نَفْسِهِ . وَ هَذَا مِمَّا يَلْزِمُ السَّمَاعَ الْإِحَاطَةَ بِكُلِّ هَذِهِ الْمَسْمِيَّاتِ لِيَحْصَلَ لَهُ مَعْرِفَةٌ مُرَادِ الْقَائِلِ ، وَ لَا شَكَّ أَنَّ الْإِحَاطَةَ بِكُلِّ مَسْمِيَّاتِ الشَّيْءِ تَتَعَسَّرُ عَلَى ابْنِ الْعَرَبِيَّةِ نَفْسِهِ ، فَكَيْفَ يَكُونُ حَالُ غَيْرِ الْعَرَبِيِّ الَّذِي لَا يَكَادُ يَصِلُ إِلَى بَعْضِ هَذِهِ الْأَسْمَاءِ إِلَّا بِشَقِّ النَّفْسِ ، وَ مَكَابِدَةِ طَوِيلَةٍ ؟

وَ جَاءَ فِي الْجُمُهِرَةِ : " قَالَ أَبُو زَيْدٍ : قَلْتُ لِأَعْرَابِيٍّ : مَا الْمُحْبِنُطِيُّ ؟ قَالَ : الْمُتَكَكِيُّ . قَلْتُ : مَا الْمُتَكَكِيُّ ؟ قَالَ : الْمُتَأَزَفُ . قَلْتُ : مَا الْمُتَأَزَفُ ؟ قَالَ : أَنْتَ أَحْمَقُ " (2) .

وَ مِنْ أَمْثَلَةِ الْمُتَوَارِدِ أَسْمَاءُ الْخَمْرِ الْمُتَعَدَّدَةِ فَيُقَالُ لَهَا الصَّهْبَاءُ ، وَ الْقَهْوَةُ ، وَ الْعُقَارُ ، وَ السَّلْسَالُ ، وَ الرَّاحُ ، وَ الْقَرْقَفُ ، حَتَّى تَصِلَ عِدَّتُهَا إِلَى مِئَةِ اسْمٍ . وَ مِنْ أَسْمَاءِ الْعَسَلِ : الضَّرْبُ ، وَ الشُّوبُ ، وَ الدُّوبُ ، وَ الْحَمِيَّتُ ، وَ الْجُلْسُ ، وَ الْوَرِيسُ ، وَ الطَّرْمُ ، وَ الشَّهْدُ ، وَ الْمَحْرَانُ ، وَ الطَّنُّ ، وَ الْغَرْبُ ، وَ الْأَسُّ ، وَ الرَّضَابُ ، وَ السَّلَافُ ، وَ الرَّحِيقُ ، وَ الصَّمُوتُ ، وَ الْمَجَّ ، حَتَّى تَصِلَ عِدَّتُهَا إِلَى بَضْعٍ وَ ثَمَانِينَ اسْمًا .

وَ مِنْ هَذِهِ الْأَسْمَاءِ مَا يَصِلُ تَعْدَادُهَا إِلَى أَلْفِ اسْمٍ كَمَا يَظْهَرُ ذَلِكَ مِنْ عُنْوَانِ بَعْضِ الْمُؤَلَّفَاتِ ، فَنَجِدُ مِنْ ذَلِكَ كِتَابَ (الرَّوْضِ الْمَسْلُوفِ ، فِيمَا لَهُ اسْمَانُ إِلَى الْوُفِ) لِصَاحِبِهِ

¹ . ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج 1 : 389 .

² . ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن (1987). جمهرة اللُّغة، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، بيروت: دار العلم للملايين، (مادة : احبناً) .

الفيروزآبادي ، و كذلك كتابي ابن خالويه : الأوّل في أسماء الأسد ، و الآخر في أسماء الحيّة ، إذ جمع فيهما خمس مئة اسم للأسد ، و مئتين للحيّة (1) .

و الناظر في شعر الجاهليين يحار في دأب الشعراء على ذكر الناقة بأسماء ، و صفات متعدّدة . و من لم يخبر ببناء القصيدة الجاهليّة يجد نفسه في متاهة غامضة لكثرة ما يرد فيها من ذكر لتلك الناقة التي تتعدّد أسماؤها ، و صفاتها . وقد يسلمه ظنّه إلى معان لتلك الأسماء غير التي أرادها الشاعر في قصيدته ، و من ذلك قول طرفة بن العبد (2):

و إنّي لأمضي الهمّ عند احتضاره	بعوجاء مرقال تروح و تغندي
أمون كألواح الإران نصأتها	على لاحب كأنه ظهر برجد
جمالية وجناء تّردّي كأنها	سَفْتَجَة تبّري لأزعر أريد

و قول الأعشى (3) :

جاوزتها بطليح جسرٍ سرح	في مرفقيها إذا استعرضتها فتلُ
------------------------	-------------------------------

و يقول (4):

و عسيرٍ أدماء حادرة العيـ	ن خوفٍ عيرانةٍ شملاي
---------------------------	----------------------

و قول كعب بن زهير (5) :

أمست سعاد بأرض لا يبلغها	إلا العتاق النجيبات المراسيلُ
--------------------------	-------------------------------

¹. انظر: ابن فارس، الصحاحي، ص 22 .

². ابن العبد، طرفة(2000). ديوان طرفة بن العبد، تحقيق: درية الخطيب و لطفى الصقّال، ط 2، بيروت: المؤسسة العربيّة للدراسات و النشر، ص 28.

³. الأعشى، ميمون بن قيس(1980). ديوان الأعشى، تحقيق: فوزي عطوي، بيروت: دار صعب، ص 19.

⁴. السابق، ص 24.

⁵. أبو سلمى، كعب بن زهير(1994). ديوان كعب بن زهير، بيروت: دار الكتاب العربي، ص 30.

و لن يبلّغها إلا عذافرة
لها على الأين إرقال و تبغيلُ
غلباء و جناء علكوم مذكرة
في دقها سعة قدامها ميلُ

أما لغة القرآن الكريم فبراء من كلّ هذا التّعظيم ، و التّعمية ؛ لأنّ الغاية من إنزال هذا الكتاب هي البيان للنّاس ، فجاءت لغته سهلة ميسورة ، لا يجد في فهمها السّامع ما يحتاجه لفهم لغة الشّعور الجاهليّ ، كالذي بيّناه في كثرة المترادفات ، و المتواردات ، بل إنّ القرآن الكريم قد وجّه الخطاب بلغة أخرى أيسر، و أسهل ، وذلك بكثرة الأشباه ، و النّظائر التي تغني كلّ الغناء عن ذكر تلك المترادفات و المتواردات .

و بنظرة في كتاب الله تعالى يتبيّن لك اطّراح لغته لكلّ ما يغلّق الأفهام ، و يجلب التّعمية على المعاني ، فاسم النّاقة ، و ما يتعلّق بها من ألفاظ في القرآن الكريم لا يتعدّى ذكره أصابع اليدين ، و أكثر تلك الأسماء إنّما جاء لناقة واحدة هي ناقة سيّدنا صالح عليه الصّلاة و السّلام ، كما في قول الله تعالى :

﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِن إِلَهِ غَيْرُهُ ۖ قَدْ

جَاءَ تَكْمٌ بَيْنَهُ مِن رَّبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذُرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا

تَمْسُوهَا سُوًى فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ الأعراف : 73 .

و قوله تعالى :

﴿ فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ أَتُنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ

﴿٧٧﴾ الأعراف : 77 .

وقوله تعالى :

﴿ وَيَقَوْمٍ هَٰذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ ءَايَةٌ فَذُرُّوهَا تَأْكُلُ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ

فِيأُحْذِرُكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿٦٤﴾ هود : 64 .

و قوله تعالى :

﴿ وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوْلُونَ وَعَٰئِنَّا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً

فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴿٥٩﴾ الإسراء : 59 .

و قوله تعالى :

﴿ قَالَ هَٰذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ هَٰذَا شَرِبٌ وَلَكُمْ شَرِبٌ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾ الشعراء : 155 .

و قوله تعالى :

﴿ إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةَ فَنِنَّ لَهُمْ فَاَرْتَجِبْهُمْ وَأَصْطِرْ ﴿٢٧﴾ القمر : 27 .

و قوله تعالى :

﴿ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيِيهَا ﴿١٣﴾ الشمس : 13 .

و أما الأسماء الأخرى للناقة ، و صفاتها فقد جاءت في قوله تعالى :

﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ

الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٣﴾ المائدة : 103 .

وقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ ﴿٤﴾ التكوير : 4 .

و العجيب أنّ الخطاب القرآنيّ الكريم في ذكره لأسماء النّاقة بهذه القلّة جاء لقوم كانت حياتهم مملوءة بذكر الكثير من أسماء هذه النّاقة و صفاتها ، إذ كانت هي الوسيلة الأمثل في ترحالهم خلال تلك الصّحارى ، و الفيافي التي سمّوها مفازات لفوز من ينجو من الهلاك في تلك القفار القاحلة الخالية ، فكانت النّاقة عندهم هي حياتهم ، وعليها اعتمادهم في حملهم ، و حمل أثقالهم . فكان تعدّد أسمائها عند العرب دليلا على اهتمامهم ، و إجلالهم لشأن هذه النّاقة ، و منافعها . و مع ذلك كلّه ، و في سبيل تسهيل لغة الخطاب للنّاس كافة جاء القرآن الكريم بذكر القليل من أسماء النّاقة ، و أطراح المئات من الأسماء الأخرى التي سمّيت بها في العصر الجاهليّ . وهذه الأسماء التي ورد ذكرها في القرآن الكريم للنّاقة خاصّة ، و الإبل عامّة لم يكن للذكر حسب ، و إنّما لأموال التّحليل ، و التّحريم ، والتّفكّر في عظيم خلق الله تعالى بتحريك العقول ، و نفث الأنظار . و لم يكن التّغريب في أسماء تلك النّاقة مقصدا يتّخذها القرآن الكريم كما كان معروفا عند العرب في جاهليّتهم . وإن دلّ هذا على شيء فإنّما يدلّ على يسر لغة هذا الدّين ، و الحكمة من إنزال هذا الكتاب العزيز .

المظهر السادس : القرآن الكريم يفسر بعضه بعضا ، و يدلّ بعضه على بعض .

إنّ كتاب الله تعالى ليس كغيره من الكتب . و إنّ لغته الكريمة لا تلو عليها لغة جمالا ، و لا بلاغة ، و لا فصاحة . و قد أعجز الله تبارك و تعالى الجنّ ، و الإنس على أن يأتوا بسورة من مثله على الرّغم من كون هذه اللّغة لغة هؤلاء القوم التي بها يتخاطبون ، و بألفاظها يتشاعرون . و بدا جليّا عجزهم عن مباراتها ، و إذعانهم لفضلها ، لما لهذه اللّغة من أسرار في بلاغتها لا يحيط بها أحد من العالمين . و كان من تيسير الله تعالى على النّاس في فهم هذه اللّغة أنّ القرآن الكريم يفسر بعضه بعضا ، و لا يجد فيه قارئه اختلافا ، فكلّه من عند الله تعالى ، يصدّق بعضه بعضا ، و يعاضد بعضه بعضا ، و في ذلك يجد القارئ لهذا الكتاب العزيز ما يبسرّ عليه بيان آياته ليعرف أحكامه ، و أوامره ، و نواهيه .

و قد أولى علماء التّفسير هذا الجانب كثيرا من الأهميّة لما له من فضل على غيره من التّفاسير ، فأفضل ما يفسر كلام الله تعالى هو كلامه تعالى ، ثمّ كلام نبيّه عليه الصّلاة و السّلام . و لا يستطيع أحد دفع هذا التّفسير ، أو إنكاره ، أو مخالفته ؛ لأنّه قول من أنزل هذا الكلام ، و هو الأعلّم بمراده . و لذا نجد بعض علماء التّفسير يؤلّفون في ذلك تفاسير خاصّة بهذا اللون من ألوان التّفاسير . و من هؤلاء :

* الشنقيطيّ في كتابه (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن) .

* الأمير الصنّعانيّ في كتابه (مفاتيح الرّضوان في تفسير القرآن بالقرآن) .

* عبدالكريم الخطيب في كتابه (التّفسير القرآنيّ للقرآن) .

و لما كان الوحي يتنزّل كان الرّسول صلّى الله عليه و سلّم يباده أخذ القرآن خشية أن

ينسى منه شيئا ، أو يفوته حفظه ، و كان يحرك شفّتيه مخافة أن ينفلت منه ، فسرى الله تعالى

على نبيه ذلك فأنزل قوله تعالى : ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ۗ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ .

﴿١٧﴾ فَإِذَا قُرَأَتْهُ فَأَتَّبِعْ قُرْآنَهُ ، ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ، ﴿١٩﴾ القيامة : 16 – 19 .

يقول ابن كثير (ت 774 هـ) في تفسير هذه الآيات : " كان النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يبادر إلى أخذ القرآن ، و يسابق الملك في قراءته ، فأمره الله عزَّ و جلَّ إذا جاءه الملك بالوحي أن يستمع له ، و تكفل له أن يجمعه في صدره ، و أن يبسره لأدائه على الوجه الذي ألقاه إليه ، و أن يبيئه له و يفسره و يوضّحه ، فالحالة الأولى جمعه في صدره ، و الثانية تلاوته ، و الثالثة تفسيره و إيضاح معناه " (1) .

و كان شأن النَّاس إذا قام أحدهم بتأليف كتاب ، أو قصيدة فإنّه يجهد ليكون في عمله شيء من الخفاء ليعظم في أعين النَّاس ، و ينال إعجابهم لما فيه من الغموض الذي لا يصل إليه عامّة النَّاس ، فمنهم من يغرب في ألفاظه ، و منهم من يستر معانيه بهالة من البديع و الرّمز ، و منهم من يخاطب الخاصّة بأسلوب يتعسر على العامّة فهمه و الإحاطة به . و لكنّ كتاب الله تعالى يؤكّد تيسير فهمه ، و سهولة الوصول إلى معانيه .

و من مصادر تفسير القرآن بنفسه ما جاء صريحا في كتاب الله تعالى ببيان معناه ، و يستدلّ المرء على هذا التفسير بكلّ سهولة و يسر ، كالذي يكون مفسرا بقوله تعالى : ﴿ وَمَا

أُذِّنَاكَ ۗ . كما في قوله تعالى : ﴿ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ ﴿٧﴾ وَمَا أُنزِلُكَ إِلَّا سِجِّينٌ ﴿٨﴾

﴿٩﴾ المطففين : 7 – 9 . و لا شك أنّ المراد بـ (سجين) ههنا هو الكتاب الذي

سطرت فيه أعمال الفجار فهي مكتوبة فيه كالرقم في التّوب .

¹ . ابن كثير، التفسير، ج 4 : 475 .

و من مصادر تفسير القرآن الكريم بالقرآن أيضا ما بيّنه الرسول عليه الصلّاة و السّلام في

معاني بعض الآيات ، و من ذلك :

حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال : " لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ آيَةُ : ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا

وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾ (٨٢) ، شقّ ذلك على أصحاب

النّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، و قالوا : أَيْنَا لِمَ يَظْلَمُ نَفْسَهُ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ

و سَلَّمَ : إِنَّهُ لَيْسَ بِذَلِكَ ، أَلَا تَسْمَعُونَ إِلَى قَوْلِ لَقْمَانَ : ﴿ وَإِذْ قَالَ لَقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ

يَبْنِي لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ (١٣) " (1).

و قال الزّركشيّ (ت 794 هـ) : " فحمل النّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الظلم ههنا على

الشّرك لمقابلته بالإيمان ، و استأنس عليه بقول لقمان " (2) .

و حديث أبي سعيد بن المعلّى أنّ النّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال :

" ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٢) . هي السّبع المثاني ، و القرآن العظيم الذي

أوتيته " (3) . و في ذلك إشارة إلى آية الحجر : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْءَانَ

الْعَظِيمَ ﴾ (٨٧) الحجر : 87 .

1. البخاري، الصحيح، ج 9 : 17 .

2. الزّركشي، البرهان، ص 322 .

3. البخاري، الصحيح، ج 5 : 146 .

و من مصادر هذا التفسير ما بينه أحد الصحابة رضي الله عنهم باجتهاد منه ، و من ذلك

حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه قال : سمعت عمر يقول في قوله : ﴿ وَإِذَا النُّفُوسُ

رُوجَتْ ﴾ (٧) ، هو الرجل يُرَوِّج نظيره من أهل الجنة ، و الرجل يُرَوِّج نظيره من أهل النار . ثم

قرأ : ﴿ أَحْسَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴾ (١٣) " (1) .

و في لفظ آخر : " هما الرجلان يعملان العمل يدخلان به الجنة و النار ، الفاجر مع

الفاجر ، و الصالح مع الصالح " (2) .

و قد يرد في القرآن الكريم ألفاظ تفسر بعض الألفاظ التي حدّد الله تعالى معانيها في كتابه

العزیز ، و من تدبر آيات الله تعالى ظهر له الرّبط بين المعنيين ، و وجد ما يدلّه على المعنى

الذي قد يغيب فهمه عليه ، كمعنى كلمة (انبجست) في قوله تعالى : ﴿ وَقَطَعْنَاهُمْ أَثْنَاقَ

عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ

فَأَنْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرِبَهُمْ وَظَلَلْنَا عَلَيْهِمُ الْعَنَمَ وَأَنْزَلْنَا

عَلَيْهِمُ الْمَنَ وَالسَّلَوى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُوا

أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٠﴾ الأعراف : 160. فقد جاء تفسير هذا اللفظ في آية أخرى تكرر فيها

كثير من ألفاظ الآية السابقة ، و ذلك في قوله تعالى : ﴿ وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا

اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرِبَهُمْ كُلُوا

¹. ابن حجر، فتح الباري، ج 9 : 601 .

². الحاكم، أبو عبدالله محمد بن عبدالله النيسابوري (2002). المستدرک على الصحیحین، تحقیق: مصطفى

عبدالقادر عطا، ط 2، بیروت: دار الکتب العلمیة ، ص 560 .

وَأَشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾ البقرة : 60 . فالظاهر أن معنى انبجست : انفجرت .

و مثل ذلك قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ

ءَابَاءَنَا أُولُو كَأَبَاءِهِمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ البقرة : 170 . فقد جاء

معنى (ألفينا : وجدنا) لقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا

عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا أُولُو كَأَبَاءِهِمْ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿٢١﴾ لقمان : 21 .

و منه قوله تعالى : ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ

مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْ نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾ طه : 53 . فقد يكون معنى (سلك : جعل)

كما في قوله تعالى : ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ

تَهْتَدُونَ ﴿١٠﴾ الزخرف : 10 .

و من هذا أيضا تفسير معنى (سجّيل) في قوله تعالى : ﴿ فَجَعَلْنَا عَلَيْهَا سَافِلَهَا

وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّنْ سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾ الحجر : 74 . فقد يكون معناها ما جاء في قوله تعالى :

﴿ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّنْ طِينٍ ﴿٣٣﴾ الذاريات : 33 ، أي أن معنى السجّيل الطين ، و الله أعلم .

و كذلك ما رواه أبو عبدالله القرطبي (ت 671 هـ) في تفسيره عن عكرمة في تفسير

(يتلونه) في قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ۗ وَمَنْ

يَكْفُرُ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٢١﴾ البقرة : 121. قال : " يتبعونه حقّ اتّباعه . أما سمعت

قول الله عزّ و جلّ : ﴿ وَالْقَمَرَ إِذَا نَلَّهَا ٢ ﴾ . قال : إذا تبعها " (1) .

و في سبيل دفع ما يتوهم تعارضه ، و اختلافه في القرآن الكريم من معان ، دلّت بعض

الآيات على تفسير ما يدفع هذا الوهم ، ليؤكد توافق المعنيين ، و لكن باختلاف الحال ، كما جاء

في قوله تعالى : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ١ ﴾ القدر : 1. فقد نزل القرآن الكريم على قلب

النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ منجّما حسب الأحوال ، لذا جاء التّقرير من الله تعالى بأنّ إنزاله جملة

واحدة كان حقا في ليلة القدر ، و إنّما نزل على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ مفزقا لحكمة

أرادها الله تعالى و بيّنها في قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً

وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً ٣٢ ﴾ الفرقان : 32 . فهذه الآية تبيّن أنّ

القرآن الكريم نزل مفزقا على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ لهذه الحكمة ، و لا يتعارض ذلك مع

إنزاله جملة واحدة في ليلة القدر قبل تنزيله منجّما حسب الوقائع .

و من ذلك أيضا ما رواه أبو عبدالله القرطبيّ (ت 671 هـ) في تفسيره عن مجاهد في

قوله تعالى : ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ١٤ ﴾ المطففين : 14. قال : " الرّجل يذنب

الذّنب فيحيط الذّنب بقلبه ، حتّى تغشى الذّنوب عليه ، قال مجاهد : و هي مثل الآية التي في

¹ . القرطبيّ، أبو عبدالله محمّد بن أحمد(1996). الجامع لأحكام القرآن، ط 5، بيروت: دار الكتب العلميّة،

سورة البقرة: ﴿ بَلَىٰ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَاطِئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ

فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨١﴾ . " (1)

كما جاء في القرآن الكريم مواضع تفسّر ما قد يلتبس فهمه على السّامعين ، فتجيء هذه

الآيات لتدفع هذا اللبس ، و تؤكد المعنى الذي أَرادَه اللهُ تعالى ، و من ذلك ما قد يقع فيه السّامع

من فهم خاطئ لقوله تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ

وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴿٤﴾ يوسف : 4 . فقد يظنّ ظانّ أنّ الذين سجدوا ليوسف عليه

السّلام - سجدوا تحية لا سجدوا عبادة - في تأويل هذه الرّؤية هم إخوته الأحد عشر ، و أبواه ،

و هذا لم يكن ، بل إنّ الذين سجدوا ليوسف عليه السّلام هم إخوته فقط ، أمّا أبواه فلم يكن منهما

هذا السّجود ، و لذا ذكر الله تعالى الخاصّ (الشّمس و القمر) بعد العامّ (أحد عشر كوكبا)

تتبيها على فضلها ، و زيادة التّنويه بشأنهما حتّى كأن لم يكونا من جنس ذلك العامّ ، و مع أنّ

الشّمس ، و القمر أكبر من الكواكب ، و رؤيتهما تكون أولى بالتّقدمة إلّا أنّ الخطاب القرآنيّ

الكريم أخّر ذكرهما ليخرجهما من حكم السّجود الذي حصل للكواكب . و يتأكّد هذا المعنى في

نهاية القصة عندما جاء إخوة يوسف عليه السّلام و سجدوا له سجدوا التّحية ، و كان قبل ذلك قد

رفع أبويه على العرش - سرير الملك - فلم يسجدا مع أبنائهما لمكانة أبيه النّبويّ يعقوب عليه

السّلام ، و برّ يوسف عليه السّلام بوالديه ، يقول الله تعالى : ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا

لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلْنَا رُبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنْ

¹ . القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن، ج 19 : 170 .

السَّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ

إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴿يوسف : 100 .

الفصل الثالث

التيسير اللغوي في إطار المعاني

المظهر الأول : الإطناب في المعاني .

و هذا أيضا من مظاهر تيسير الله تعالى في لغة القرآن الكريم لإيصال المعنى إلى السامع بزيادة الألفاظ على المعاني ، فالإطناب " هو أداء المقصود من الكلام بأكثر من عباراته سواء كانت القلة أو الكثرة راجعة إلى الجمل أو إلى غير الجمل " (1) .

و الإطناب في تعريف أدقّ : " العبارة عن المعنى بالكلام الكثير الذي يستفاد منه إيضاح المعنى ، و تفصيله " (2) .

و الغرض من ذلك تأكيد المعنى بتلك الألفاظ التي تزداد على ما يحتاجه المعنى من ألفاظ ، و ليس المقصود بذلك التطويل ، أو الحشو الذي لا فائدة فيه . فالتطويل " زيادة اللفظ عن المعنى لغير فائدة " (3) ، دون أن يتعيّن الزائد ، كقول عديّ بن زيد العباديّ (4) :

فقدّدت الأديم لراهشيّه و ألقى قولها كذبا و مينا

فإنّ الزائد هو: كذبا أو مينا ، جاء لغير فائدة ، و لم يتعيّن أحدهما للزيادة ، و لم يترجّح ،

لذا عدّ هذا النوع من الكلام عيبا و تطويلا ؛ لأنّه جاء بلفظ كثير فيما يكفي منه القليل (5) .

¹ . القزويني، أبو عبدالله محمد بن سعد الدين الخطيب (1998). الإيضاح في علوم البلاغة (مختصر تلخيص

المفتاح)، راجعه: بهيج غزّويّ، ط 4، بيروت: دار إحياء العلوم ، ص 170 .

² . ابن سنان الخفاجي، أبو محمد عبدالله بن سعيد الخفاجي(2006). سرّ الفصاحة، فهرسة: داود غطاشة،

عمّان: دار الفكر ، ص 201 .

³ . ابن الأثير، المثل السائر، ج 2 : 344.

⁴ . العبادي، عديّ بن زيد(1965). ديوان عديّ بن زيد العبادي، تحقيق: محمد جبار المعبيد، بغداد: شركة دار

الجمهورية للنشر و الطباعة، ص 183.

⁵ . انظر: القزويني، الإيضاح، ص 171.

أما إذا زاد اللفظ على المعنى لغير فائدة ، و كان هذا اللفظ متعيّنا، فهو الحشو، كما يفهم ذلك من قول الخطيب القزويني (ت 739 هـ): " و الحشو ما يتعيّن أنّه الزائد، كقول أبي الطيّب (1):

و لا فضل فيها للشّجاعة و النّدى و صبر الفتى لولا لقاء شعوب

فإنّ لفظ (النّدى) فيه حشو يفسد المعنى ؛ لأنّ المعنى : أنّه لا فضل في الدّنيا للشّجاعة ، و الصّبر ، و النّدى لولا الموت ، و هذا الحكم صحيح في الشّجاعة دون النّدى ؛ لأنّ الشّجاع لو علم أنّه يخلد في الدّنيا لم يخش الهلاك في الإقدام ، فلم يكن لشجاعته فضل ، بخلاف الباذل ماله ، فإنّه إذا علم أنّه يموت هان عليه بذله " (2) .

أما الإطناب فإنّه يحمّد إذا كان فيه فائدة ، بل إنّ علماء اللّغة عدّوا ترك الإطناب نقيصة في المتكلم إذا كان الموقف الذي هو فيه محتاجا إلى الإطناب ، يقول أبو هلال العسكري (ت 395 هـ) : " و القول القصد أنّ الإيجاز و الإطناب يحتاج إليهما في جميع الكلام ، و كلّ نوع منه ، و لكلّ واحد منهما موضع ، فالحاجة إلى الإيجاز في موضعه كالحاجة إلى الإطناب في مكانه ، فمن أزال التدبير في ذلك عن جهته ، و استعمل الإطناب في موضع الإيجاز ، و استعمل الإيجاز في موضع الإطناب أخطأ . كما روي عن جعفر بن يحيى أنّه قال مع عجه بالإيجاز : متى كان الإيجاز أبلغ كان الإكثار عيّا ، و متى كانت الكناية في موضع الإكثار كان الإيجاز تقصيرا " (3) .

¹ . المتنبّي، أبو الطيّب أحمد بن الحسين(1978). ديوان أبي الطيّب المتنبّي، تقديم: عبدالوهاب عزّام، بيروت: دار الزّهران، ص 264.

² . القزويني، الإيضاح، ص 171-172 .

³ . العسكري، أبو هلال الحسن بن عبدالله (1952). الصناعتين: الكتابة و الشّعر، تحقيق: عليّ البجاويّ و محمّد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة: دار إحياء الكتب العربيّة ، ص 190.

و الإطناب من أسرار البلاغة كما بيّن الجاحظ (ت 255 هـ) في قوله : " قال لي ابن الأعرابي : قال لي المفضل بن محمد الضبيّ : قلت لأعرابيّ منّا : ما البلاغة ؟ قال : الإيجاز في غير عجز ، و الإطناب في غير خطل " (1) .

و من مظاهر تيسير لغة القرآن الكريم أنّه لم يقتصر في خطابه كلّه على الإيجاز وحده ، و لا على الإطناب وحده ، بل جعل لكلّ واحد منهما القدر الذي يُحتاج إليه في خطاب الخاصّة و العامّة ، و لو جاء القرآن الكريم كلّه إيجازاً لتعسّر فهمه على أكثر النّاس ؛ لأنّ من النّاس من تكفيه الإشارة الخاطفة لفهم الخطاب ، و منهم من يلزمه لذلك البسط في القول ، و الإطناب فيه ، فالخطاب القرآنيّ إذا كان موجّهاً للعرب أخرج الكلام مخرج الإشارة ، و الحذف ، و إذا خاطب بني إسرائيل ، أو حكى عنهم بسط القول ، و زاد في الكلام .

و من أشكال الإطناب التي جاء بها القرآن الكريم قوله تعالى : ﴿ وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ

الْأَمْرَ أَنْ دَايِرَ هَتُوْلَاءَ مَقْطُوْعٌ مُّصْحِحِيْنَ ﴾ (١٦) الحجر : 66 . يقول عبد العزيز عتيق : " فإنّ

قوله تعالى : ﴿ أَنْ دَايِرَ هَتُوْلَاءَ مَقْطُوْعٌ مُّصْحِحِيْنَ ﴾ إيضاح للإبهام الذي تضمّنه لفظ (الأمر) ، و ذلك لزيادة تقرير المعنى في ذهن السّامع بذكره مرّتين : مرّة على طريق الإجمال و الإبهام ، و مرّة على طريق التفصيل و الإيضاح " (2) .

و من ذلك قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَذُكُرُكُمْ عَلَىٰ جِرْقَةٍ تُنْجِيكُمْ مِّنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴾ (١٠)

تُؤْمِنُونَ بِاللّٰهِ وَرَسُولِهِ وَجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّٰهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (١١) الصّفّ:

10 - 11 . فقد ذكر الله تعالى (التّجارة) و هي لفظ جاء مجملاً مبهماً للتشويق ، و استمالة

¹ . الجاحظ، البيان و التّبیین ، ج 1 : 54 .

² . عتيق، عبدالعزيز (ب.ت) . علم المعاني - البيان - البديع، بيروت: دار النّهضة العربيّة ، ص 182 .

السّامع ، ثمّ فصل ذلك في الآية بعدها ببيان صفة هذه التجارة ، و مقصودها ليزداد المعنى شرفاً و نبلاً .

و يأتي كذلك لتأكيد المعنى ، كقوله تعالى : ﴿ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ

ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ

مِمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾ البقرة : 79 . فقد جاءت كلمة (بأيديهم) لتؤكد ما قاموا به من تحريف لكتاب الله تعالى بعلمهم ، و إرادتهم .

و قد يأتي الإطناب لغرض الإحاطة ، و الشمول ، كقوله تعالى : ﴿ قَدْ مَكَرَ

الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ

الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾ النحل : 26 . فجاء بلفظ (من فوقهم) . و السقف لا يختر

إلا من فوق ، و لكن جيء به ليبين للسّامع أنّ السقف قد انهدّ عليهم ، و أحاط خرّه بهم ، و لم يغادر منهم شيئاً ، و ذلك بيان لما أراد الله تعالى من تهويل الأمر في العقوبة التي أعدّها الله تعالى لكلّ من يمكر بهذا الدّين ، و يسعى لإطفاء نور الله تعالى .

و للإطناب أثر كبير في إكساب السّامع مخزوناً لغويّاً يجده في التفصيل و التكرير

لبعض الألفاظ التي يتأكد معناها بسبب هذا اللون من ألوان البيان ، يقول فتح الله سليمان :

" فالإطناب يمثل ظاهرة أسلوبية تقوم على تفجير شحنات فكرية لدى المتلقّي بهدف إحداث

صدمة لغوية عند الطّرف المستقبل ، و جعل ذهنه في حال استنفار دائم " (1) . و من ذلك تأثير

ظاهرة الإطناب في استدرار خزائن العقول لما يتردّد في النّصّ من ربط بين ما يبدأ به ، و ما

1 . سليمان، فتح الله أحمد(2008). الأسلوبية: مدخل نظريّ و دراسة تطبيقية، القاهرة: مكتبة الآداب، ص 26.

يُنْتَهَى إِلَيْهِ . و انظر إلى أثر ذلك في قوله تعالى : ﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا

أَسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ ، فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن

رَأْسِهِ ، فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنْتُمْ مِّن تَمَنَعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِّن

الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامٌ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ

أَهْلُهُ ، حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٩٦﴾ البقرة : 196 .

فالإطناب في قوله تعالى : ﴿ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ ﴾ ، و في ذلك تحريك لذهن السامع ،

و تأكيد لمجموع تلك الأيام التي سيصومها الحاج الذي لم يجد ثمن الهدى ، و قد جعل الله تعالى

عدّة هذه الأيام عشرة ، يصوم الحاج منها ثلاثة أيام في الحجّ ، وسبعة أيام إذا رجع إلى بلده ،

و حتّى لا ينسى الحاج هذه العدّة قسمها الله تعالى بهذا التفصيل ، و أكد مجموعها بعد ذلك ؛ لأنّ

صيام الأيام الثلاثة معروف عند المسلمين ، و قد اعتادوا عليه ، أمّا صيام الأيام السبعة فليس من

عادة الناس صيامها . و حتّى لا يشكّل على الصائم عدتها ذكر الله تعالى مجموعها إجمالاً بعد

تفصيل . و قد جاء التأكيد على عدّة هذه الأيام " ليُعلم العدد جملة كما علم تفصيلاً ، ليُحاط به من

جهتين فيتأكد العلم . و في أمثال العرب : علما خير من علم " (1) .

¹ . الخطيب القزويني، الإيضاح، ص 198.

المظهر الثاني : التّصوير القرآنيّ .

بينما نرى القرآن الكريم يغيّر في ألفاظ لغة الخطاب الجاهليّ ، و يهدّبها ، نراه كذلك يغيّر في المعاني الجاهليّة ، و يوجّه الخطاب إلى معان أسمى ، و أصدق ، لا تبلى و لا تبيد على مرّ الزّمان ، فجعل يحارب العادات القبيحة ، و الأفكار الضّالّة ، و الخرافات التي ليس لها وجود في الحياة . كلّ هذا ، و أكثر منه كان ديناً للعرب في جاهليّتهم ، نشؤوا عليه ، و ورثوه من بعدهم ، حتّى جاءت رحمة الله تعالى للنّاس برسالة محمّد صلى الله عليه و سلّم التي تنقيّ حياة النّاس ممّا علق بها من الأوهام ، و الخرافات ، و سيّئ التّقاليد و العادات . و ما كان ذلك ليكون لولا نزول لغة هذا الدّين بما تدين لها عقول النّاس من فصاحة في القول ، و إعجاز في النّظم ، و خطاب للعقل . و لذا فقد رأينا النّاس قد تركوا ما كانوا عليه من عبادة للأصنام ، و استسلام للأوهام التي فشت فيهم كالعرافة ، و التّنجيم ، و الكهانة ، و الطّيرة ، و الضّرب بالحصى ، و البيات مع الغيلان ، و مجاوية الهواتف ، و تزوّج السّعالي ، و صحبة الرّئيّ ، و الهامة ، و صفر . كلّ هذه التّصويرات الكاذبة هجرها القرآن الكريم ، و بيّن بطلانها ، و حدّر النّاس من تصديقها و العمل بها ، لما لها من أثر المشقّة ، و العنت في حياة النّاس ، بعد أن تفتنّ الكهّان في تضليل النّاس ، و بعدما سيطر العرّافون على عقولهم ، و شايعهم الشّعراء في نشر هذه الأوهام ، و الخرافات بين النّاس . يقول الله تعالى : ﴿ وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ

﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ الشعراء : 224 – 226 .

و بناء على ما سبق ، كان الكثير من لغة الخطاب مملوءا بالتصويرات التي يميل أصحابها إلى الإغراب فيها نظرا لغرابة هذه التصويرات أنفسها . و لا شك أنّ الغرابة في التصوير تؤدّي إلى الغرابة في الألفاظ ، و من ثمّ صعوبة وصول المعنى إلى السّامع الذي لم يعهد مثل هذه التصويرات ، و من ذلك قول (تأبّط شرًا) في وصف منازلة بينه و بين الغول (1) :

ألا من مبلغ فتیان فهمٍ بما لاقيتُ عند رحي بطانٍ
بأني قد لقيت الغول تهوي بسهب كالصّحيفة صحسان

و كان من زعم العرب أنّ الغول لا تموت إلا بضربة واحدة ، فإذا تُنّيت بأخرى قامت إلى الضّارب و اجتالته ، إلا أنّ تأبّط شرًا يدرك هذا الأمر ، و لا يلتفت إلى طلب الغول تنثية الضّربة ، فيقول :

فأضربها بلا دهش فخرت صريعا لليدين و للجران
فقال: عدّ، فقلت لها رويدا مكانك إنني ثبت الجنان

ثمّ يصوّر لنا صورة هذه الغول بأوصاف لا يعقلها العاقل ، و يحار في رسم صورتها في ذهنه لغرابة ما يختار الشّاعر من أوصاف متعدّدة تتوزّع في غير مخلوق واحد ، وكلّ ذلك لتحويل أمر هذه الغول ، و بثّ الرّعب في قلوب السّامعين كبارا و صغارا ، و لإبراز شجاعة الفرد و جرأته ، فيقول :

فلم أنفك متكئا لديها لأنظر مصبها ماذا أتاني
إذا عينان في رأس قبيح كرأس الهزّ مشقوق اللسان
و ساقا مخدج ، و شواة كلب و ثوب من عباء أو شنان

¹. تأبّط شرًا، ثابت بن جابر (1999)، ديوان تأبّط شرًا و أخباره، تحقيق: عليّ ذو الفقار شاكّر، ط2، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ص 222-227.

و من الخرافات التي كان يصورها الشعراء الجاهليون في أشعارهم اعتقادهم بأن روح القتيل تظلّ تحوم على شكل طائر يسمّى (الهامة) عند قبره ، و هي تقول : اسقوني ، اسقوني من دم قاتلي ، حتّى يؤخذ الثأر له من قاتله . و قد أفرد الجاحظ (ت 255 هـ) للهامة بابا في كتاب الحيوان جاء فيه :

" ما قيل من الشعر في الهامة و الصدى : و قال خزيمه بن أسلم :

فلا تزقون لي هامةً فوقَ مرقبٍ فإنّ زقَاءَ الهامِ أخبثُ خابث

و قال عبدالله بن خازم أو غيره :

فإنّ تك هامةً بهراً تزقو فقد أزقيتَ بالمروينِ هاما " (1)

لهذا جاء القرآن الكريم بتصويرات تخالف تلك التصويرات الفاسدة ، و ما تقتضيه تلك التصويرات من اختلاق للألفاظ ، و إغراب في الخيال . و كانت المساجلة بينه و بين تصويرات الجاهليّة ، فما كان من العرب إلّا أن استسلموا لتلك التصويرات القرآنيّة الباهرة ، و حكموا لها بالفضل ، بعد أن علموا فساد تصويرات الجاهليّة ، و لعبها بعقولهم .

و قد جاء التصوير في القرآن الكريم سهل المنال ، قريب المأخذ ، يختار من حياة النّاس ما ألفوه ، و ما كان ماثلاً أمامهم ليل نهار ، و لم يأتهم من صور الجاهليّة بأوهامها ، و لا بخرافاتنا التي تذهب بالسّامع بعيدا عن الواقع الذي يحياه ، و ما ترنو إليه عيناه . ثمّ يصوّر هذه التصويرات أحسن تصوير ، و يلقيها إلى النّاس و هي تنبض بالحياة ، و كأنّها صورة قد نفخت فيها الرّوح حتّى كادت أن تتكلّم .

يقول سيّد قطب : " التصوير هو الأداة المفضّلة في أسلوب القرآن ، فهو يعبر بالصّورة

المُحسّنة المتخيّلة عن المعنى الدّهنيّ ، و الحالة النّفسيّة ، و عن الحادث المحسوس ، و المشهد

¹ . الجاحظ، الحيوان، ج2 : 299.

المنظور ، و عن النّمودج الإنساني ، و الطّبيعة البشريّة . ثمّ يرتقي بالصّورة التي يرسمها فيمنحها الحياة الشّاخصة أو الحركة المتجدّدة " (1) .

و كلّما كانت الصّورة أقرب إلى الحقيقة ، كان فهمها أيسر ، و تخيلها أصدق . و نضرب لهذا مثلا من بلاغة النّبّي صلّى الله عليه و سلّم في وصف الجنّة ، و النّار ، إذ يصورهما للسّامعين كأنّهم رأي عين ، لشدّة وضوح الصّورة التي يصفها النّبّي صلّى الله عليه و سلّم في نعوت الجنّة ، و النّار ، كما قال حنظلة لأبي بكر رضي الله عنهما : " نكون عند رسول الله صلّى الله عليه و سلّم يذكرنا بالنّار و الجنّة كأنّنا رأي عين " (2) .

و من تيسير الله تعالى للغة الخطاب القرآنيّ الكريم أن جاءت التّصويرات القرآنيّة حقيقيّة صادقة ، سهلة المأخذ ، قريبة الفهم ، لا كما كان عليه حال بعض الشّعْر من مبالغات تقود الشّاعر أحيانا إلى التّعمية ، والإبهام ، حتّى قيل : إنّ أعذب الشّعْر أكذبه . ولعلّ بيت الشّعْر الذي قاله امرؤ القيس دليل على سوء التّصوير ، الأمر الذي جعل المرزبانيّ (ت 384 هـ) يثبته في مأخذ العلماء على الشّعراء ، و ذلك في قوله :

فللسّاق ألّهوبٌ و للسّوطِ درّةٌ و للزّجرِ منه وقعٌ أهوجٌ منعبٌ (3)

و في هذا البيت يصوّر امرؤ القيس سرعة فرسه ، مستعملا أدوات الزّجر التي تبعث الفرس على الانطلاق ، كالسّاق ، و السّوط ، و الزّجر ، و هذه أدوات لو حرّك بها فيل لكاد أن

¹. قطب، سيّد(1988). التّصوير الفنّي في القرآن، ط 10، القاهرة: دار الشّروق ، ص 36 .

². التّرمذيّ، الجامع، ج 4 : 283 .

³. امرؤ القيس، ديوان امرؤ القيس، ص 51.

يطير ، و لو كان فرسه جوادا لما احتاج هذه الأدوات مجتمعة . يقول المرزباني في هذه الصورة :
 " فليل فيه : إن فرسا يُحتاج إلى أن يُستعان عليه بهذه الأشياء لغير جواد " (1) .

و قد أوصلت هذه المبالغة في التصوير شاعرا فحلا مثل كعب بن زهير إلى الإغراق في الوصف ، و التّعنيت على السّامع في الوصول إلى مراد الشّاعر بعد مكابدة طويلة . كوصفه لسرعة ناقته في قصيدته المشهورة التي أنشدها رسول الله صلى الله عليه و سلم ، و ذلك في قوله (2):

كأنّ أوب ذراعيها و قد عرقت و قد تلعّق بالقور العساقيلُ

و من هنا بدأ يصف سرعة ناقته و هي تسير به في رحلته الطويلة ، و الشّاعر ينظر إلى حركة ذراعيها و هي تجمع به لتتقذه بالخلاص من قطع هذه الرحلة المملوءة بالمخاطر ، و لا شكّ في أنّ السّامع ينتظر كعبا ليبيّن له كيف يكون (أوب ذراعيها) أي سرعة تقلّب ذراعيها ، و رجوعهما ، كأنّ أوب ذراعيها ... إلّا أنّ كعبا يترك خبر تلكم الذّراعين ، و ينقل السّامع إلى مشهد آخر ، و هو عرق هذه النّاقة لشدة حرّ ذلك اليوم ، و لذا يبدو السّراب في هذه الصورة و كأنّه مِلْفَع يغطّي تلك الجبال التي يمر بها الشّاعر في رحلته تلك .

و بعد هذه الصورة ينتقل كعب بالسّامع إلى مشهد ثالث دون أن يعطيه خبر تلك الذّراعين ، و هو حال الحرياء الذي وجد حرّ هذا اليوم في تلك الأرض الملتهبة ، و كأنّه و هو يحترق بلهيب تلك الشّمس خبز قد وضع في التّور لينضج كلّ النّضج . يقول :

يوما يظّلّ به الحرياء مصطخدا كأنّ ضاحيه بالشّمس مملولُ

¹ . المرزباني، أبو عبدالله محمد بن عمران(1995). الموشح في مأخذ العلماء على الشعراء، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، بيروت: دار الكتب العلميّة، ص 110.

² . كعب بن زهير، ديوان كعب، ص35. و مطلع القصيدة :

بانّت سعاد قلبي اليوم متبول متيمّ إثرها لم يفد مكبول

ثمّ يستطرد الشّاعر دون أن يخبر بخبر الذّراعين إلى مشهد رابع و هو ما يشير به حادي القوم على صحبه من رأي لتفادي حرّ هذا اليوم بأن يقلبوا فيستريحوا حتّى يخفّ وهج تلك الهاجرة . و في هذه الصّورة أيضا يظهر مشهد خامس و هو ركض الجنادب الرّماديّة اللّون في تلك الفقار الموحشة بحثا عن ملاذ تنقي فيه لهيب الأرض المحرقة ، فيقول :

و قال للقوم حاديهم وقد جعلت ورق الجنادب يركضن الحصى قيلوا

ثمّ يضيف الشّاعر مشهدا سادسا قبل أن يأتي بخبر الذّراعين ، و هو الوقت الذي كانت النّاقة تركض فيه ، و هو شدّ النّهار ، عندما تكون الشّمس في كبد السّماء و حرّها عندئذ أشدّ ما يكون ، يقول :

شدّ النّهار ذراعا عيطل نصف قامت فجاوبها نكد مئاكيل

و بعد طول انتظار يأتي الشّاعر بخبر الذّراعين كأنهما ذراعا امرأة طويلة صغيرة السنّ شديدة قامت تتوح على فقد بكرها ، و تلمم وجهها بكفيها نياحة عليه ، فشبه الشّاعر سرعة ذراعي النّاقة بسرعة هذه المرأة في لطم وجهها حزنا على بكرها . فانظر كم من صورة جاء بها الشّاعر كادت تنسي السّامع ما بدأ به القول ؟ و لا يفطن لذلك إلا من خبر طرائق الشعراء الجاهليين في الوصف ، فكيف يكون حال غير العربيّ في ذلك ؟

و نجد مثل هذه المبالغة في التّصوير عند أبي تمام ، الأمر الذي جعل النّقاد يوجّهون إليه

سهامهم في العيب عليه لتكلفه ، و ظهور أثر الصّنع في شعره ، و منها قوله (1):

و تقسّم النّاس السّخاء مجزأ و ذهب أنت برأسه و سنامه

و تركت للنّاس الإهاب و ما بقي من فرثه و عروقه و عظامه

¹. أبو تمام، حبيب الطائي (1981). شرح ديوان أبي تمام، شرح: إيليا الحاوي، بيروت: دار الكتاب اللبناني،

يقول فيه ابن سنان (ت 466 هـ) : " و لم يقنع بأن استعار للسّخاء رأسا ، و إهابا ، و عظاما ، و عروفا ، حتّى جعل له فرثا " (1) .

أمّا صور القرآن الكريم فليس هذا سبيلها ، لرحمة الله تعالى في تيسير لغة الخطاب القرآنيّ الكريم التي جاءت للعربيّ ، و غير العربيّ ، فلا يجد في فهمها العناء الذي يجده في لغة الجاهليين بألفاظها ، و صورها . بل إنّ النّاس على اختلاف عقولهم ، و أفهامهم ، و علومهم ، ليجدون في القرآن الكريم ما يناسب أفهامهم ، و علومهم ، و كأنّه يخاطب كلّ إنسان بما يستطيع إدراكه من أنواع الخطاب . و نذكر من هذه الصّور قوله تعالى :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتِّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ

حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾ الأعراف: 40 .

و هنا يبيّن الله تبارك و تعالى بكلّ وضوح حال الذين كذبوا بآيات الله تعالى ، و استكبروا عنها ، فإنّهم لن يدخلوا الجنّة ، و حتّى يعقل النّاس هذه الحال ، و يقرّ في نفوسهم استحالة دخول الجنّة لمن كانت هذه حاله ، جاء بهذه الصّورة التي لا تدع للطّمع في الجنّة بهذه الحال مجالا ، و تلك هي صورة من يرجو أن يدخل حبلا غليظا في خرم إبرة صغيرة . و هذه صورة منتقاة من حياة النّاس ، فكم من إنسان حاول أن يدخل خيطا رقيقا في خرم إبرة ؟ و كم مرّة فشل في ذلك و الحال بخيط رقيق ؟ و كيف تكون حاله لو جنّاه بحبل غليظ و طلبنا منه محاولة ذلك ؟ فهي صورة بليغة جاءت بألفاظ يسيرة ، و تصوير ما أسهل مورده ! و ما أجلّ مقصده !

و لو ظنّ أحد النّاس أنّ المقصود بالجمال هو ذات الجمال المعروف من الإبل لكانت هذه الصّورة أشدّ إعجازا ، فكيف لجمال هذا حجمه أن يدخل من خرم هذه الإبرة الصّغيرة ؟ أليست هذه

¹ . ابن سنان، سرّ الفصاحة، ص 137.

الصورة قريبة من حياة الناس ؟ و هل في فهمها أيّ مشقّة ، أو حرج ؟ إنّه التيسير الذي بيّنه ربّ العزّة ، و وعد به ، فهل من مدّكر ؟

و صورة أخرى في قوله تعالى :

﴿ مَثَلُ الَّذِينَ أَخَذُوا مِنَ دُونِ اللَّهِ أُولِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا ۗ

وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ العنكبوت : 41 .

و انظر إلى هذه الصورة المألوفة التي اختارها الله تعالى لكلّ من يتخذ غير الله سبحانه ناصرًا و معينًا ، و لا يلجأ إليه في حاجاته و تصريف أموره ، و يعتقد أنّ غير الله تعالى بيده الضّرّ و النّفع من دون الله تعالى . فإنّ كلّ ما يتعلّق به من دون الله تعالى واه ، سرعان ما يخذله و يسلمه ، كبيت العنكبوت الذي لا يدفع عنها عدوًّا ، و لا بردًا ، و لا حرًا ، و لا شيئًا ، على الرّغم ممّا تعبت من أجله العنكبوت في بناء هذا البيت ، و هي تظنّ فيه المنعة ، و المنفعة ، فإذا ما لجأت إليه هربا من عدوّ فإنّه لا ينفعها ، و لا تجد فيه ما رجته منه . و قد اختار الله تعالى بيت العنكبوت ليكون مثلا لكلّ ما يعبد من دون الله تعالى ، و ما من دابة في الأرض إلّا و بيتها ينفعها بعض النّفع غير العنكبوت .

و من هذه الصّور قوله تعالى :

﴿ وَأَضْرَبَ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ

هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾ الكهف : 45 .

و هذه صورة أخرى من حياة الناس ، يضربها الله تعالى مثلا للحياة الدّنيا في سرعة فنائها ، و قصر خطرها ، تلك هي أيام الرّبيع القصيرة ، التي تمرّ مرّ البرق ، و يحزن الناس على

انتهاء جمالها ، فما أن ينزل الماء حتّى تُخرج الأرض مفاتها ، و ينشغل النَّاس بزینتها ، و يلهون بريعتها . و بينا هم في حبرة ، و نضرة ، إذ جاء الصَّيف فصيرَّ الخضرة صفرة في قليل من الزَّمن ، و كأنَّ شيئاً لم يكن ، و تلك هي حياة الإنسان يخرج طفلاً ، ثمَّ يكون شاباً ممتلئاً حياة ، و قوّة ، ثمَّ يدور عليه الزَّمان فتخور قواه ، و ينحني ظهره ، و يغزوه الشَّيب ، و كأنَّ حياته كانت حلماً قصيراً مرَّ به .

و من هذه الصَّور أيضاً قوله تعالى :

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحِي

الْمَوْتِ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ فصلت : 39 .

و هذه من الصَّور التي يراها النَّاس، و يسهل عليهم فهمها ، و هي صورة الأرض قبل نزول الغيث عليها ، فبعد أن كانت ميتة لا حياة فيها ، قد تساقط الورق عن أشجارها فأصبحت أعوادا يابسة ، و اصفرَّت زروعها فلم يبق فيها عرق أخضر ، و لم يعد فيها بهجة ، و لا نضرة ، أنزل الله عليها الماء فإذا هو كالرَّوح يمدّها بالحياة ، فتهتزّ ، و تتحرَّك ، و تُخرج من داخلها كلّ بهيج ، و تكسو معالمها الخضرة ، و النَّضرة . صورة قريبة من حياة النَّاس تدلّ على قدرة الله تعالى في إحياء الأرض ، و الإنسان .

الفصل الرابع

التيسير اللغوي في إطار الشكل

المظهر الأول : تسوير السور .

جاء القرآن الكريم ليغيّر الحياة التي كان عليها الناس ، فنراه يغيّر في عاداتهم الجاهليّة ، و عباداتهم الباطلة ، و معاملاتهم السيّئة . ثمّ تعدّى ذلك حتّى غير في ثقافتهم ، و علومهم ، و آدابهم ، فجاء القرآن الكريم على ترتيب لم يألفوه ، و نظم لم يسلكوه ، فحوّل أنظار الناس إلى هذا اللون الجديد من ألوان الخطاب ، و استطاع صرفهم عن لغة الخطاب الشعريّ ، و مسالك الشعراء في قصائدهم برجزها ، و هزجها ، فانشغل الناس بهذا النّبأ العظيم الذي ملك عليهم عقولهم ، و خالط مشاعرهم ، فأقبلوا عليه يستمعونه ، و يتعجبون منه ، قال الله تعالى : ﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴾ الجنّ : 1 .

و من مظاهر هذا التّجديد الذي لم يعهده العرب قبل نزول القرآن الكريم تسمية القرآن ؛ إذ كانت العرب تسمّي أعمالها الأدبيّة ديوانا ، و قصيدا ، و رجزا ، و سجعا . أمّا هذا الكتاب العزيز فسماه الله تعالى قرآنا ، و فرقانا ، و ذكرا . و سمّي بعضه سورة ، و لم تسمّ العرب بهذا الاسم من قبل . و سمّي بعض السّورة آية ، و سمّت العرب بعض الشعر بيتا ، و صدرا ، و عجزا . و على هذا الهدي سمّي العلماء آخر الآية فاصلة ليخالفوا تسمية القافية التي سمّي بها آخر البيت من الشعر . و كان لهذا الترتيب الجديد للخطاب اللغويّ أثر واضح في التيسير اللغويّ ، و ذلك بتسوير سور القرآن الكريم . و السّورة في اللّغة تطلق على المنزلة ، و الشّرف ، و ما طال من البناء و حسن ، يقول الطّبري (ت 310 هـ) : " و من الدّلالة على أنّ معنى السّورة المنزلة من الارتفاع قول نابغة بني ذبيان :

ألم تر أنّ الله أعطاك سورة ترى كلّ ملكٍ دونها يتذبذبُ (1)

يعني بذلك : أنّ الله أعطاه منزلة من منازل الشرف التي قصرت عنها منازل الملوك " (2).
و يسوق الزركشي (ت 794 هـ) بعض أقوال العلماء في أسباب تسمية السورة بهذا الاسم ، في قوله : " قال القتيبي : السورة تهمز ، و لا تهمز ، فمن همزها جعلها من أسارت أي أفضلت من السور ، و هو ما بقي من الشراب في الإناء ، كأنها قطعة من القرآن . و من لم يهمزها جعلها من المعنى المتقدم ، و سهل همزتها . و منهم من شبهها بسور البناء ، أي القطعة منه ، أي منزلة بعد منزلة . و قيل : من سور المدينة لإحاطتها بآياتها ، و اجتماعها كاجتماع البيوت بالسور ، و منه السوار لإحاطته بالساعد ، و على هذا فالواو أصلية . و قال ابن جنّي في شرح منهوكة أبي نواس : إنّما سميت سورة لارتفاع قدرها ؛ لأنها كلام الله تعالى ، و فيها معرفة الحلال و الحرام . و منه رجل سوار أي معرب ؛ لأنه يعلو بفعله و يشتطّ . و يقال أصلها من السورة و هي الوثبة ، تقول : سرت إليه و ثرت إليه . و جمع سورة القرآن سور بفتح الواو ، و جمع سورة البناء سور بسكونها " (3).

و يقول النّوويّ (ت 676 هـ) " و في السورة لغتان الهمز و تركه ، و التّرك أفصح ، و هو الذي جاء به القرآن . و ممّن ذكر اللّغتين ابن قتيبة في غريب الحديث " (4).

1. النّابغة، أبو أمامة زياد بن معاوية الدّيبانيّ(1996). ديوان النّابغة الدّيبانيّ، شرح: عبّاس عبدالساتر، ط 3، بيروت: دار الكتب العلميّة، ص 28 .

2. الطّبريّ، أبو جعفر محمّد بن جرير(2004). جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: هاني الحاجّ و عماد الباروديّ وخيري سعيد، القاهرة: المكتبة التّوفيقيّة ، ج 1 : 105.

3. الزّركشيّ، البرهان، ج 1 : 361 .

4. النّوويّ، أبو زكريّا يحيى بن شرف(1991). التّبيان في آداب حملة القرآن، تحقيق: بشير محمّد عيون، دمشق: مكتبة دار البيان، ص 171 .

و السّورة في الاصطلاح كما بيّنه الزّركشيّ (ت 794 هـ) نقلا عن الجعبريّ (ت 732 هـ): " حدّ السّورة قرآن يشتمل على أي ذوات فاتحة و خاتمة ، و أقلّها ثلاث آيات " (1).
و يعرفها الزّرقانيّ في قوله : " و يمكن تعريفها اصطلاحا بأنّها طائفة مستقلّة من آيات القرآن ذات مطلع و مقطع " (2).

أمّا تسوير القرآن الكريم إلى أربع عشرة سورة بعد المئة عند أكثر القراء فإنّه من مظاهر تيسير الله تعالى لتلاوة هذا الكتاب العزيز ، و تدبّر آياته . فلو كان القرآن الكريم كلّهُ سورة واحدة بهذا العدد الكبير من الكلمات التي بلغت ما يقارب (77934) كلمة ، لكان من العسير على النّاس تمييز قصصه ، و لاختلط عليهم مكّيّه من مدنيّه ، و لشقّ عليهم حفظه و مدارسته ، فكانت رحمة الله تعالى بالنّاس أن جاء مسوّرا بهذا الشّكل الذي نراه اليوم بين دفتي الكتاب . يقول الزّرقانيّ في الحكمة من تسوير السّور : " لتجزئة القرآن إلى سور فوائد و حكم ، منها : التّيسير على النّاس ، و تشويقهم إلى مدرسة القرآن و تحفّظه ؛ لأنّه لو كان سبيكة واحدة لا حلقات بها لصعب عليهم حفظه و فهمه ، و أعياهم أن يخوضوا عباب هذا البحر الخضمّ الذي لا يشاهدون فيه عن كذب مرافئ و لا شواطئ " (3) .

و لما كانت كلّ سورة لها بداية و نهاية كان من اليسير قراءتها في الصّلاة على قدر استطاعة كلّ واحد من المسلمين ، و لم يجب على المصلّي في صلاته إلّا قراءة فاتحة الكتاب ، و هي سبع آيات ، فكان استقلالها في سورة واحدة رحمة من الله تعالى ، و تيسيرا في العبادة ، فنجد النّاس يستطيعون حفظها على اختلاف ألسنتهم ، و أسنانهم ، و ثقافتهم .

1. الزّركشيّ، البرهان، ج 1 : 362 .

2. الزّرقانيّ، محمّد عبدالعظيم(1999). مناهل العرفان في علوم القرآن، بيروت: دار المعرفة، ص 312.

3. السّابق، ص 313.

و من كان يشقّ عليه حفظ السور الطوال كسورة البقرة ، و سورة آل عمران ، ثم حفظ سورة الكوثر - و هي ثلاث آيات - أجزأته قراءتها في الصلاة بعد سورة الفاتحة ؛ لأنّ حصول السنّة بقراءة سورة قصيرة بعد الفاتحة ، أو بقراءة آية طويلة .

كما أنّ ترتيب السور في القرآن الكريم يدلّ على هذا المظهر و هو تيسير قراءته و حفظه ، فأول ما يبدأ به متعلّم القرآن قراءة السور القصيرة لما لها من خصوصيّة في قصر آياتها ، و جمال في وقع جرسها في الأذان ، ثمّ ينتقل بعد إلى الأطول فالأطول حتّى يأتي على آخر هذا الكتاب العزيز .


يقول الزركشيّ (ت 794 هـ) : " ثمّ ظهرت لذلك حكمة في التعلّم ، و تدريج الأطفال من السور القصار إلى ما فوقها يسيرا يسيرا ، تيسيرا من الله على عباده لحفظ كتابه ، فترى الطفل يفرح بإتمام السورة فرح من حصل على حدّ معتبر ، و كذلك المطيل في التلاوة يرتاح عند ختم كلّ سورة ارتياح المسافر إلى قطع المراحل المسماة مرحلة بعد مرحلة أخرى " (1).

و كان لتسوير سور القرآن الكريم أثر في سهولة الرجوع إلى قصص القرآن الكريم ، و أحكامه ، إذ جاءت تسمية سور القرآن الكريم دالة على موضوع السورة ، أو على صاحب تلك التسمية ، فمن أراد الرجوع إلى قصّة البقرة عاد إلى سورة (البقرة) . و من أراد الرجوع إلى قصّة الأسرة الفاضلة (آل عمران) عاد إلى سورة (آل عمران) . و من أراد الرجوع إلى أحكام النساء عاد إلى سورة (النساء) . و هكذا في سائر سور الكتاب العزيز .

و كان الرسول صلّى الله عليه و سلّم كثيرا ما يدلّ أصحابه و المسلمين من بعد على فضائل بعض السور و الآيات ، و ما كان ذلك ممكنا لولا أن جاء القرآن الكريم مسورا . و من

¹ . الزركشيّ، البرهان ، ج 1 : 362 .

ذلك قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سُورَةِ الْإِخْلَاصِ " أَيْعِزُّ أَحَدَكُمْ أَنْ يَقْرَأَ فِي لَيْلَةٍ ثَلَاثَ الْقُرْآنِ ؟

قَالُوا : وَكَيْفَ يَقْرَأُ ثَلَاثَ الْقُرْآنِ ؟ قَالَ : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾  . يَعْدِلُ ثَلَاثَ الْقُرْآنِ " (1).

وَقَوْلُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي خَوَاتِيمِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ : " مَنْ قَرَأَ هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ

فِي لَيْلَةٍ كَفَتَاهُ " (2) . فَهَلْ كَانَ مِنَ الْيَسِيرِ التَّدْلِيلِ عَلَى هَذِهِ السُّورِ ، وَهَذِهِ الْآيَاتِ لَوْلَا تَسْوِيرِ

الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ؟ فَكَانَ قَوْلُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ (مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ) تَسْهِيلاً عَلَى النَّاسِ فِي

الرَّجُوعِ إِلَى هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ بِبِرْكَةِ تَسْوِيرِ سُورِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ . أَمَا لَوْ كَانَ كُلُّهُ سَبِيكَةً وَاحِدَةً لَشَقَّ عَلَى

النَّاسِ الرَّجُوعُ إِلَى هَذِهِ السُّورِ وَالْآيَاتِ .

¹ . مسلم، المختصر، ص 130.

² . السابق.

المظهر الثاني : الفاصلة القرآنية و رؤوس الآي ، و علامات الوقف و الوصل .

من يقرأ نصًا ليس فيه علامات ترقيم قد يجد بعض المشقة في فهم بعض مراد الكاتب ،
لما لعلامات التّرقيم من أثر في توجيه المعنى ، و تقريبه للسامع ، فتكون علامات التّرقيم بمثابة
المفاتيح لأفعال الكلام ، و تظهر فائدة علامات التّرقيم عندما توضع موضعها الصّحيح في
الجملة ، و قد يتغيّر وجه الكلام بتغيّر موضع علامة التّرقيم ، كما في قصّة من حكم عليه بالموت
شنقا ، فكتب على رقعة تنفيذ الحكم : (العفو ممنوع . الحكم بالإعدام شنقا) . ثمّ غيّر موضع
النقطة بعد كلمة العفو فصار الحكم على النّحو : (العفو . ممنوع الحكم بالإعدام شنقا) . و هنا
تغيّر المعنى بتغيّر موضع علامة التّرقيم ، فصار الحكم بالعفو لا بالشنق .

و نضرب لذلك مثلا آخر مكتوبا بلا علامات ترقيم ، و بلا حركات إعراب كما في قول

القائل :

ما أحسن عمر

ما أحسن عمر

ما أحسن عمر

فهذه الجمل الثلاث تتشابه معنى و صورة . و لكن بعد وضع علامات التّرقيم ، يصير

لكلّ جملة منها معنى مخالف لمعاني الجملتين الأخريين ، و إن لم توجد حركات إعراب في هذه

الجمل تميّزها ، على النّحو الآتي :

ما أحسن عمر !

ما أحسن عمر ؟

ما أحسن عمر .

و من كان له نظر في علامات التّرقيم في العربيّة يتبيّن له معنى كلّ جملة من الجمل السابقة ، و ذلك بفضل ما توضّحه كلّ علامة من علامات التّرقيم . ففي المثال الأوّل الذي ختم بعلامة التّعجب يظهر جليّاً أنّ القائل يتعجّب من حُسن عمر ، فتكون (ما) في هذا المثال تعجبيّة ، و بناء على ذلك يمكن وضع العلامة الإعرابيّة لكلمة (أحسن) بالفتح ، و لكلمة (عمر) بالفتح أيضا .

أمّا في المثال الثّاني ، فبعد وضع علامة الاستفهام في آخر الجملة ينجلي الإبهام عن مراد القائل ؛ لأنّه يسأل عن أحسن شيء في عمر ، فتكون (ما) في هذا المثال استفهاميّة ، و عليه تكون علامة (أحسن) الضّمّ ، و علامة (عمر) الفتح عوضا عن الكسر ؛ لأنّه ممنوع من الصّرف .

و في المثال الأخير الذي ختم بالنّقطة ، يبدو أنّ القائل لا يستفهم ، و لا يتعجّب ، و إنّما يعطي خبرا لعمر بعدم إحسانه ، فتكون (ما) نافية ، و عليه تكون علامة (أحسن) الفتح ، و علامة (عمر) الضّمّ ؛ لأنّه هو فاعل الفعل (أحسن) . فالجملتان الأوليان إنشائيّتان ، و الثّالثة خبريّة ، و كان الذي دلّنا على ذلك علامات التّرقيم ، فانظر كيف تكون علامات التّرقيم مفتاحا لقراءة النّصوص ، و لو لم يكن هناك علامات إعراب للكلم .

و إنّما سقنا هذين المثالين ليظهر لنا أثر الفاصلة القرآنيّة ، و علامات الوقف و الوصل في إتمام المعنى و توضيحه في كتاب الله تعالى .

و الفاصلة القرآنيّة منها ما هو وقف من الله تعالى في كتابه العزيز ، و منها ما هو قياسيّ باجتهاد العلماء . و أمّا علامات الوقف و الوصل في القرآن الكريم فهي اجتهاد من علماء القراءات في بيان المواضع التي ينبغي على القارئ الوقوف عليها ، أو الوصل في القراءة لتتّضح المعاني أكثر .

و قد عرّف الرّمانيّ (ت 386 هـ) الفاصلة بقوله : " الفواصل حروف متشاكلة في المقاطع توجب حسن إفهام المعاني ، و الفواصل بلاغة ، و الأسجاع عيب ، و ذلك أنّ الفواصل تابعة للمعاني ، و أمّا الأسجاع فالمعاني تابعة لها " (1) .

و يقول الزّركشيّ (ت 794 هـ) في ذلك أيضا : " هي كلمة آخر الآية كقافية الشّعر و قرينة السّجع ... و قال القاضي أبو بكر : الفواصل حروف متشاكلة في المقاطع يقع بها إفهام المعاني " (2) . فالفاصلة بذلك تعني انفصال الكلام عمّا يأتي بعده . و تقع الفاصلة عند نهاية المقطع الخطابيّ .

و للفاصلة القرآنيّة أثر في حسن ختام الكلام ، و جعل السّامع يقع على مواطن انتهاء الكلام في أحسن جرس يطرق الأذان فترتاح له ، و تنجذب إليه . كما في قوله تعالى :

﴿ وَالضُّحَىٰ (١) وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ (٢) مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ (٣) وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ (٤) ﴾

وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ (٥) الضحى : 1-5 .

و لذا فقد جاء أكثر الفواصل القرآنيّة على حروف اللّين و المدّ لسهولة وقع هذه الحروف على السّمع ، و لسهولة الوقف عليها ، يقول الزّركشيّ (ت 794 هـ) : " كثر في القرآن الكريم ختم كلمة المقطع من الفاصلة بحروف المدّ ، و اللّين ، و إلحاق النّون . و حكمته وجود التّمكّن من التّطريب بذلك ، قال سيبويه رحمه الله : أمّا إذا ترتموا فإنّهم يلحقون الألف ، و الواو ،

¹ . الرّمانيّ، أبو الحسن عليّ بن عيسى (ب.ت). ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق: محمّد خلف الله أحمد

و محمّد زغلول سلّام، ط 3 ، القاهرة: دار المعارف، ص 97.

² . الزّركشيّ، البرهان، ج 1 : 53 .

و الياء ما ينونون و ما لا ينونون؛ لأنهم أرادوا مدّ الصّوت. و إذا أنشدوا و لم يترنّموا فأهل الحجاز يدعون القوافي على حالها في التّرتم . و ناس من بني تميم يبدلون مكان المدّة النّون " (1) .

و لحصول ذلك جاء في القرآن الكريم التّقديم و التّأخير لحكم كثيرة ، منها هذا التّطريب ، و مراعاة أثر الفواصل في حسن الوقف و سهولته ، و من ذلك قوله تعالى : ﴿ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ ﴾

خِيفَةَ مُوسَى ﴿٦٧﴾ طه : 67. و الأصل في ترتيب الكلام أن يلي الفعل فاعله ، و هنا تأخّر

الفاعل (موسى) مراعاة للفاصلة كي تتشابه مع عظم فواصل سورة (طه) و هي الألف ، و لم يقل الله تعالى : فأوجس موسى في نفسه خيفة .

و مثل ذلك قوله تعالى : ﴿ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴾ ﴿١١٩﴾

طه : 129. و معناه : و لولا كلمة سبقت من ربك ، و لولا أجل مسمّى ، لكان تعذيبهم لازما .

و كذلك الحذف كما في قوله تعالى : ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسَّرَ ﴾ ﴿٤﴾ الفجر : 4. و هنا حذف

الياء من الفعل (يسري) مراعاة للفاصلة القرآنيّة في صدر هذه السّورة (الفجر ، و عشر ، و الوتر ، و يسر ، و حجر) .

و من ذلك أيضا صرف ما لا ينصرف ، كقوله تعالى : ﴿ وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِبَيْنَةٍ مِّنْ فِضَّةٍ ﴾

وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرًا ﴿١٥﴾ الإنسان : 15.

و من ذلك زيادة هاء السّكت ، كما في قوله تعالى : ﴿ مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَّةٌ ﴾ ﴿٢٨﴾ هلك عني

سُطْنِيَّة ﴿٢٩﴾ الحاقّة : 28-29 .

1. الزّركشي، البرهان، ص 58 - 59 .

و لذا يقول الرّمانيّ (ت 386 هـ) : " و فواصل القرآن كلّها بلاغة و حكمة ؛

لأنّها طريق إلى إفهام المعاني التي يُحتاج إليها في أحسن صورة يُدلّ بها عليها " (1).

كما أنّ الفاصلة القرآنيّة تعطي القارئ فرصة من الوقت ليلتقط أنفاسه في قراءة الآيات ، ثمّ

المتابعة بعد أن استعاد نشاطه ، و استجمع فكره ؛ لأنّها مواطن انتهاء المعاني في عظم الفواصل

القرآنيّة ، و يكون الوقف عليها صحيحا لتمام المعنى .

و من فوائد الفواصل القرآنيّة أنّها تساعد على تيسير حفظ القرآن الكريم ، و سرعة ثباته في

الصدور ؛ لأنّ الكلام المتناسق في نظمه ، و المتقارب في رسمه ينشرح له الصدر ، و يسهل

تذكره و استرجاعه ، كما تتأثر به نفوس السامعين لحسن التّماتل في هذه الفواصل ، على النقيض

من الكلام المنثور الذي يسهل تفلّته و نسيانه ، و لذا حفظ الكثير من الشّعْر ، و درس الكثير من

النثر ، على الرّغم من كثرة المنثور من كلام العرب . فإن كان هذا قد حصل للشّعْر ، فكيف إذا

كان هذا الكلام كلام الله تعالى ؟

و ختم الفاصلة القرآنيّة برقم يدلّ على ترتيب الآية في السّورة من أجلّ الحكم في هذا

التّيسير المنشود ، وهذا من مظاهر إحكام ترتيب القرآن الكريم . و ليس من عمل من أعمال

البشر وصل إلى هذا التّرتيب العجيب ، و الإحكام الفريد ، لا في الشّعْر و لا في النثر . و من

فوائد هذا التّرتيب سهولة الرّجوع إلى مواطن الآيات بتحديد رقم الآية في السّورة ، خصوصا إذا

كانت هذه السّورة طويلة كسورة (البقرة) التي يقارب عدد آياتها (286) آية ، و بغير هذا

التّرتيب يصعب الرّجوع إلى مواطن الآيات لمن أراد الرّجوع إلى ذلك . و الرّسم القرآنيّ الأوّل لم

يثبت أرقام الآيات في رأس كلّ آية ، و إنّما عرف السلف الصّالح رأس الآية بالسّليقة ، و الفاصلة

القرآنيّة ، و هذا ما يفسّر اختلاف عدد آيات السور عند علماء الضبط و الرّسم القرآنيّ . و لذا

¹ . الرّمانيّ، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، ص 98.

اجتهد هؤلاء العلماء في تحديد رؤوس الآيات بوضع رقم دالّ على نهاية الآية . كما ميّز هؤلاء العلماء بين الفاصلة القرآنيّة و رأس الآية ، يقول الزّركشيّ (ت 794 هـ) : " و فرّق الإمام أبو عمرو الدّانيّ بين الفواصل و رؤوس الآي ، قال : أمّا الفاصلة فهي الكلام المنفصل ممّا بعده ، و الكلام المنفصل قد يكون رأس آية، و غير رأس. و كذلك الفواصل يكنّ رؤوس آي، و غيرها. و كلّ رأس آية فاصلة، و ليس كلّ فاصلة رأس آية. فالفاصلة تعمّ النّوعين و تجمع الضّربين " (1).

و أمّا علامات الوقف و الوصل فهي اجتهاد من العلماء ، أثبتوها في رسم القرآن الكريم ليسهل على القارئ معرفة مواطن الوقف و الوصل ، و اتّضح المعنى بعد ذلك . و قد كان لعلماء النّحو باع كبير في تحديد مواضع الوقف و الابتداء حسب دلالات المعاني ، و تعدّد وجوه الإعراب في سياق الآيات ، و عدّوا ذلك من أدوات الوصول إلى معاني القرآن الكريم ، فإنّ من لم يكن له علم بالعربيّة ، و دراية بالنّحو و الإعراب ، قد تفضي به قراءته القرآن الكريم إلى معنى فاسد لفساد وقوفه ، أو فساد وصله إن لم يكن في موضعه . يقول النّحاس (ت 338 هـ) في ذلك : " ذكر لي بعض أصحابنا عن أبي بكر بن مجاهد أنّه كان يقول : لا يقوم بالنّمام إلّا نحويّ عالم بالقراءات ، عالم بالتّفسير ، عالم بالقصص و تلخيص بعضها من بعض ، عالم باللّغة التي نزل بها القرآن " (2) .

و يؤكّد ابن الجزريّ (ت 833 هـ) فضل علماء النّحو و اللّغة في بيان مواضع الوقف و الوصل ، و يذكر من هؤلاء العلماء في قوله :

" و صحّ بل تواتر عندنا تعلّمه و الاعتناء به من السّلف الصّالح كأبي جعفر يزيد ابن القعقاع ، إمام أهل المدينة الذي هو من أعيان التّابعين ، و صاحبه الإمام نافع بن أبي

¹. الزّركشيّ، البرهان، ص 150.

². النّحاس، أبو جعفر أحمد بن محمّد(1992). القطع و الائتناف، تحقيق: عبدالرحمن المطروديّ، الرّياض: دار عالم الكتب ، ص 18.

نعيم ، و أبي عمرو بن العلاء ، و يعقوب الحضرمي ، و عاصم بن أبي النجود ، و غيرهم من الأئمة " (1) .

و لمعرفة مواطن الوقف و الوصل أهمية في الوقوف على المعنى الصحيح المراد في كتاب الله تعالى ، فلا يجوز للقارئ أن يقف كيفما شاء ، و أينما شاء ، بل عليه أن يراعي قواعد النحو التي تربط المعاني بعضها ببعض ، و أن يكون لوقوفه وجه صحيح من وجوه النحو أو التفسير التي بينها العلماء في ذلك لئلا يذهب به وقوفه الخاطئ إلى معنى غير مراد ، أو نقص في تمام المعنى ، يقول النحاس (ت 338 هـ) : " فقد صار في معرفة الوقف و الانتناف التفرقة بين المعاني فينبغي لقارئ القرآن إذا قرأ أن يفهم ما يقرؤه ، و يشغل قلبه به ، و يتفقد القطع و الانتناف ، و يحرص على أن يفهم المستمعين في الصلاة و غيرها ، و أن يكون وقفه عند كلام مستقر أو شبيه به ، و أن يكون ابتدأه حسنا ، و لا يقف على مثل : ﴿ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾ (٣٦) . لأن الواقف ههنا قد أشرك بين المستمعين و بين الموتى ، و الموتى لا يسمعون و لا يستجيبون ، و إنما أخبر عنهم أنهم يبعثون " (2) .

و يقول ابن الأنباري (ت 328 هـ) : " و من تمام معرفة إعراب القرآن ، و معانيه ، و غريبه ، معرفة الوقف والابتداء فيه ، فينبغي للقارئ أن يعرف الوقف التام ، و الوقف الكافي الذي ليس بتام ، و الوقف القبيح الذي ليس بتام و لا كاف " (3) .

¹ . ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ج1 : 225 .

² . النحاس، القطع و الانتناف ، ص 20 - 21 .

³ . الأنباري، أبو بكر محمد بن القاسم(1971). كتاب إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عز و جل، تحقيق:

محيي الدين رمضان، دمشق: مجمع اللغة العربية، ج:1: 108.

و معرفة الوصل و الوقف في الكلام من تمام طرق البيان عند المتكلم ؛ لأنّ البيان إنّما هو الإيضاح و الإفصاح ، و لا يكون ذلك إلّا في وقوف صحيح ، أو وصل واجب ، يقول أبو هلال العسكريّ (ت 395 هـ) : " و قال الأحنف بن قيس : ما رأيت رجلاً تكلم فأحسن الوقوف عند مقاطع الكلام ، و لا عرف حدوده إلّا عمرو بن العاص رضي الله عنه ، كان إذا تكلم تفقد مقاطع الكلام ، و أعطى حقّ المقام ، و غاص في استخراج المعنى بألطف مخرج ، حتّى كان يقف عند المقطع و قوفا يحول بينه وبين تبعيته من الألفاظ ، و كان كثيرا ما ينشد :

إذا ما بدا فوق المناير قائلاً أصاب بما يومي إليه المقاتلا " (1)

و لأهميّة أمر الوقف و الابتداء ، و أثره في توجيه المعنى ، اشترط على المقرئ أن لا يجيز أحدا إلّا إذا علم فيه علمه بمواطن الوقف و الابتداء ، يقول ابن الجزريّ (ت 833 هـ) : " و من ثمّ اشترط كثير من أئمة الخلف على المجيز أن لا يجيز أحدا إلّا بعد معرفة الوقف و الابتداء . و كان أئمتنا يوقفوننا عند كلّ حرف ، و يشيرون إلينا فيه بالأصابع " (2).

و لذا وضع علماء الضبط علامات تعيين قارئ القرآن على تحديد مواطن الوقف و الوصل ، و المزوجة بين الكلمة و أختها ، ليصل إليه المعنى سالما غير منقوص ، و لإزالة اللبس الذي قد يقع حين الوصل . و من هذه العلامات علامة الوقف اللّازم ، و اختاروا لها شكل حرف الميم (م) كما في الآية ﴿ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ

الأنعام : 36 .

¹ . العسكريّ، الصّناعتين، ص 438 .

² . ابن الجزريّ، النّشر، ج 1 : 225 .

و انظر إلى أثر هذه (الميم) في الوقف على معنى الآية ؛ لأن الوقف على كلمة (يسمعون) يدفع وهم أن الواو بعده عاطفة ، و هذا يؤدي إلى التناقض ، و هو التسوية بين الأحياء و الأموات في الاستجابة . و أمّا الوقف فيجعل الواو استئنافية ، و يكون الموتى مبتدأ مخبرا عنه بقوله تعالى : ﴿ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ﴾ ، و هذا هو المعنى الصحيح لئلا يشترك حكم ما بعد الواو بحكم ما قبلها ، و أتى للموتى أن يستجيبوا ، أو يرجعوا إلى الدنيا ، و قد ختم على أعمالهم بموتهم !

و مثله في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعْضُهُ فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ ؕ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ ﴾ البقرة : 26 .

فكان الوقف اللازم هنا على (مَثَلًا) للفصل بين كلام الكفار و كلام الله تعالى ، و تكون جملة (يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا) جملة مستأنفة . و لو وصل الكلام لكانت صفة لـ (مَثَلًا) ، و لأفادت أنه من كلام الكفار ، و هذا ليس مراد الله تعالى في هذا القول .

و من ذلك قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهِ

إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ ٧٣

المائدة : 73 . فالوقف اللازم على (ثَلَاثَةٍ) يميّز بين قول النصارى القائلين بالتثليث ، و قول الله تعالى ردّا لقولهم ، و لو وصل الكلام لأوهم أن يكون ذلك من كلامهم ، ممّا يؤدي إلى التناقض . و الواو بعد هذا الوقف اللازم تشعر بالاستدراك الذي يقطع بين الحكمين السابق و اللاحق لها .

و مواضع هذا الوقف بيّنة في كتاب الله تعالى ، يمكن الرجوع إليها بكل يسر و سهولة .
و لله الحمد و المنة .

و من هذه العلامات أيضا علامة الوقف القبيح أو الممتنع ، و قد رسمت بهذا الشكل
(لا) . و الوقف على هذا الموضع يخسر المعنى تماما ، و لا يصل معناه كاملا إلا بالوصل
لما بعده من الكلام لشدة تعلّقه بما يسبقه من الكلام لفظا و معنى . و مثال ذلك في قوله تعالى :

﴿ وَلَئِن آتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتِهِمْ وَمَا بَعْضُهُمْ
بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِن آتَبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴾

﴿ البقرة : 145 ﴾

و لا يجوز الوقف على كلمة (العلم) ؛ لأنّ الوقف على هذا الموضع يفصل بين الشرط
و جوابه و هما متلازمان لتمام المعنى ، و القارئ قد يستسيغ الوقف على هذا الموضع لطول
الكلام ، و حاجته إلى الوقف ، لذا وضعت هذه الـ (لا) لتنبّه القارئ إلى ضرورة الوصل لإيفاء
المعنى حقّه في الشرط و جوابه ، و استكمالا لأركان الجملة النحويّة .

و مثل ذلك في قوله تعالى : ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَى وَعَدًّا

عَلَيْهِ حَقًّا وَلَنُكَنِّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ ﴿ النحل : 38 ﴾

فالوقف على كلمة (أيمانهم) يقطع المعنى ، و يغيّره ؛ إذ يشعر السامع أنّ الجملة بعدها
مستأنفة ، و كأنّ الله تعالى يقول : لا يبعث الله من يموت ، فكان الوصل هنا ليؤكد أنّ هذا من
قول الكافرين ، و شكّهم في البعث بعد الموت في الحكاية عنهم ، و ليس المراد أنّ الله تعالى لا
يبعث الموتى .

و المواضع في مثل هذا كثيرة في القرآن الكريم لمن أراد الرجوع إليها . و من الملاحظ أنّ الطبعة الأخيرة من مصحف المدينة (1429 هـ) قد حذفت منها علامة الوقف الممتنع (لا) في المواضع كلّها ، و ذلك لأنّ هذه العلامة وضعت لكون الوقف في هذا الموضع يفصل بين أركان الجملة النحوية و المعنوية ، فيكون الوصل ههنا واجبا لتتمام المعنى . و لو جرت هذه القاعدة على جميع آيات القرآن الكريم للزم أن توضع هذه العلامة على كلّ كلمة لم تحمل علامة أخرى تنافيا ، و ليست هذه المواضع التي وضعت لها هذه العلامة بأحقّ من غيرها من المواضع الأخرى التي يلزمها الوصل لإتمام المعنى ، كوصل الفعل بالفاعل ، و المبتدأ بالخبر ، و المضاف بالمضاف إليه ، وهكذا في سائر أركان الجملة النحوية .

و من علامات الوقف والوصل التي تؤثر في تمام المعنى علامة تعاقب الوقف (* *) ، و تسمى علامة (التّعاقب) و (التّجاذب) و (المراقبة) . و يعرفها الزركشي (ت 794 هـ) بقوله : " هو أن يكون الكلام له مقطعان على البديل ، كلّ واحد منهما إذا فرض فيه الوقف و جب الوصل في الآخر ، و إذا فرض فيه الوصل و جب الوقف في الآخر " (1) . و يفيد هذا الوقف بأنّ القارئ إذا وقف على أحد الموضعين لم يصحّ وقوفه على الموضع الآخر لما لهذا الوقف من أثر في توجيه المعنى و تمامه . و اختلف المفسّرون في مواطن الوقف في هذه الحال تبعا لاجتهاداتهم في تفسير الآيات ، فمن وقف على موضع ما ، ذهب في وقوفه هذا إلى معنى يختلف عن معنى من وقف على الموضع الآخر ، كما في قوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ

فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ البقرة : 2 .

1. الزركشي، البرهان، ج 1 : 443 .

فالاخلاف في موضع الوقف و الوصل في هذه الآية تابع لاختلاف المعنى ، فمن وقف على (ريب) جعل جملة (فيه هدى للمتقين) مستأنفة مقطوعة عما قبلها ، و جعل (ريب) اسم (لا) النافية للجنس ، و خبرها محذوف يدلّ عليه سياق الجملة . كما يجعل صاحب هذا الوقف كلمة (هدى) مبتدأ مؤخرا ، و خبره حرف الجرّ و مجروره (فيه) مقدّم عليه . و من أخذ بهذا الرأى من العلماء القرطبيّ (ت 671 هـ) (1) .

و أمّا من وقف على (فيه) جعل (لا ريب فيه) معترضة بين (ذلك الكتاب) و (هدى للمتقين) . و يكون اسم (لا) كلمة (ريب) ، و خبرها (فيه) ، و تكون (هدى) خبر المبتدأ (ذلك) ، بمعنى : ذلك الكتاب هدى للمتقين . أو خبر لمبتدأ محذوف تقديره (هو) بمعنى : هو هدى للمتقين .

و أكثر المفسرين يذهبون إلى الوجه الثّاني أي الوقف على (فيه) . و هذا الوقف أبلغ ، و معناه أتمّ ، و لفظه أكثر استعمالا . و ذلك من وجوه :

أولها : أنّ الوقف على (ريب) يقلّل من شأن الهداية في هذا الكتاب ، فقول : ذلك الكتاب فيه هدى للمتقين لا يصل إلى درجة قول : ذلك الكتاب هدى للمتقين ، و ذلك لاحتمال ما تفيد (فيه) من وجود غير الهداية في القول . و حتّى يقرب المعنى أكثر سننظر في هاتين الجملتين :

الأولى : هذا البستان فيه عنب .

و الثّانية : هذا البستان عنب .

و لا شك أنّ القول الثّاني أدلّ على أنّ البستان كلّ عنب ، و ليس فيه غير العنب . و أمّا

القول الأوّل فيحتمل أن يكون في البستان غير العنب كالتّين مثلا .

¹ . انظر: القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن، ج1 : 112 .

فجعلُ كلمة (فيه) في الآية السابقة خبراً لـ (لا) أولى و أبلغ ؛ إذ يكون المعنى أن هذا الكتاب كله هدى ، فقول ذلك الكتاب هدى أكثر توكيداً على شأن الهداية من قول ذلك الكتاب فيه هدى .

ثانيها : أن ما ورد في القرآن الكريم من مثل هذه الحال كان الوقف عليه قبيحاً لبطلان المعنى ، فلا يصح الوقف على (ريب) في قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ إِنَّكَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ الْمِعَادَ ﴾ (٩) آل عمران : 9 .

و لا في قوله تعالى : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ﴾ (٨٧) النساء : 87 .

و لا في قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٣٧) يونس : 37 .

و لا في قوله تعالى : ﴿ أُولَئِكَ يَرَوْنَ أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴾ (١١) الإسراء : 99 .

و لا في قوله تعالى : ﴿ الْمَرَّةَ ١ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٢) السجدة : 1-2 . و الآيات في مثل هذا كثيرة معلومة .

ثالثها : بالوقوف على كلمة (فيه) تكون (لا) قد استحقت خبرها ظاهراً ، و هذا ألصق بالسَّمع من تقدير خبرها تقديراً ، و أيسر على عامة الناس لظهور خبرها ؛ لئلا يقعوا في تأويلات غير صحيحة . و السلامة لا يعدلها شيء .

و يظهر أثر علامة التّعانق كذلك في قوله تعالى : ﴿ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ

سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْفَاسِقِينَ ﴿٦٦﴾ المائدة : 26 .

فقد نزلت هذه الآية الكريمة في قصّة سيّدنا موسى عليه السّلام مع بني إسرائيل ،
و ذلك بعد أن خرجوا من مصر أمرهم سيّدنا موسى عليه السّلام بدخول أرض بيت المقدس ،
و كان فيها قوم جبارون لا يدان لأحد بقتالهم ، فخاف بنو إسرائيل من الجبارين ، و جبنوا ،
و همّوا بالرجوع إلى مصر ، فعاقبهم الله تعالى بالتّيه في الصّحراء مدّة أربعين سنة . فمن وقف
على كلمة (عليهم) كان مذهبه إلى تحريم دخولهم بيت المقدس أبدا ، فهي محرّمة عليهم ، و لا
يدخلونها أبدا ، ثمّ يكون العقاب بالتّيه أربعين سنة ، و ذلك بالعزل بين تحريم دخول بيت المقدس ،
و التّيه الذي استمرّ أربعين سنة . و هذا المذهب أبعد عن الصّواب - و الله أعلم - . و أمّا من
ذهب إلى الوقوف على (سنة) فيرى أنّ تحريم دخول بني إسرائيل بيت المقدس كان فقط مدّة
أربعين سنة ، ثمّ يدخل بعد التّيه منهم من شاء الله له أن يدخل .

المظهر الثالث : الطّول و القصّر في الآيات و السّور .

و من رحمة الله تعالى بعباده أن يسرّ قراءة القرآن الكريم ، و حفّظهُ لجميع النّاس على اختلاف ثقافتهم ، و أفهامهم ، و أسنانهم ، و بيناتهم ، و أسنتهم . و من مظاهر هذا التيسير مجيء سور القرآن الكريم و آياته مختلفة في الطّول و القصّر . فالمبتدئ في قراءة القرآن الكريم كالطفّل ، و العجميّ ، و كبير السنّ يهون عليه القراءة في قصار السّور و الآيات . أمّا السّور الطويلة و آياتها فيحتاج القارئ فيها إلى بعض المهارة و الدّربة للقراءة من جهة ، و لفهم المعنى من جهة أخرى ، و ذلك لطول هذه السّور و الآيات ، إذ يكون ربط المعاني فيها أشقّ على هؤلاء من غيرهم ، فكان من الأولى تعليمهم القراءة في هذا النّوع أولاً .

و سور القرآن الكريم تتفاوت بين الطّول و القصّر ، فمنها القصير الذي يبلغ عدد آياته ثلاثاً ، كسورة (الكوثر) ، و منها الطويل الذي يصل إلى (286) آية و هي سورة (البقرة) ، ثمّ تتفاوت السّور بعد ذلك بين هاتين السّورتين طولا و قصراً .

و الناظر في سور القرآن الكريم طوليلها و قصيرها يلحظ أسلوباً واحداً في الخطاب لا يتغيّر بتغيّر طول السّور أو قصرها ، بل إنّ جميع سور القرآن الكريم على اختلاف أطوالها تحمل الإعجاز نفسه ، فالقصير كالطويل في نظمه ، و بيانه ، و يسره ، و بلاغته ، يدلّ بعضه على بعض ، و يصدّق بعضه بعضاً . و إن دلّ هذا على شيء فإنّما يدلّ على أنّ القرآن الكريم تنزيل العزيز الحميد ، و ليس من وضع البشر؛ لأنّ هذا الأسلوب جاء واحداً في سور القرآن الكريم كلّها، و أنّي لبشر أن يستطيع ذلك مدّة ثلاث و عشرين سنة . كما أنّ أسلوب القرآن الكريم لم يحاك أساليب العرب في أشعارهم و خطبهم ، فليس هو بالشعر و لا بالنثر ، بل إنّما هو قرآن كريم .

أمّا قصار السّور فقد جاء ترتيبها في آخر المصحف الشريف . و ترتيبها هذا لا يدلّ على ترتيب نزولها ؛ فسورة (النّاس) مثلاً جاء ترتيبها في آخر المصحف الشريف على الرّغم

من أنها ليست آخر ما نزل من القرآن الكريم ، و لم تكن سائر السور متتالية في النزول كما هي متتالية في الترتيب . و كان لهذا الترتيب من الطويل إلى القصير حكمة إلهية في تيسير لغة الخطاب . و هذه السور القصار لا تتعدى جزءا واحدا من ثلاثين جزءا عدة أجزاء القرآن الكريم ، يقول الزايعي في ذلك : " فقد علم الله أنّ كتابه سيثبت الدهر كلّه على هذا الترتيب المتداول ، فيسره للحفظ بأسباب كثيرة ، أظهرها في المنفعة و أولها في المنزلة هذه السور القصار التي تخرج من الكلمات المعدودة إلى الآيات القليلة و التي هي مع ذلك أكثر ما تجيء آياتها على فاصلة واحدة ، أو فواصل قليلة مع قصر ما بين الفاصلة و الفاصلة ، فكل آية وضعت كأنها سورة من كلمات قليلة لا يضيق بها نفس الطفل الصغير ، و هي تتماسك في ذاكرته بهذه الفواصل التي تأتي على حرف واحد ، أو حرفين ، أو حروف قليلة متقاربة فلا يستظهر الطفل بعض هذه السور حتى يلتئم نظم القرآن على لسانه ، و يثبت أثره في نفسه ، فلا يكون بعد إلا أن يمرّ فيه مرّا . و هو كلّما تقدّم وجده أسهل عليه ، و وجد له خصائص تعينه على الحفظ ، و على إثبات ما يحفظ " (1) .

و من فوائد قصر السور التخفيف على الأمة في الصلاة ، و لو كانت سور القرآن الكريم كلّها طويلة لشقّ على الناس قراءة سورة بعد سورة الفاتحة في الصلاة ، فلما أنزلت هذه القصار أجزأت قراءتها في الصلاة عن قراءة الطوال ؛ إذ غالبا ما يكون في صلاة الجماعة الشيخ الكبير ، و المريض ، و ذو الحاجة ، فكانت القراءة بهذه القصار رحمة من الله تعالى و تيسيرا على الناس في أمور العبادة ، و تخفيفا على المسلمين كما أمر بذلك سيّد المرسلين عليه الصلاة و السلام في

¹ . الزايعي، تاريخ آداب العرب، ج2 : 132 .

قوله : " إذا صَلَّى أَحَدُكُمْ لِلنَّاسِ فليخَفَّفْ ، فَإِنَّ فِيهِم الضَّعِيفُ ، وَ السَّقِيمُ ، وَ الكَبِيرُ ، وَ إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ لِنَفْسِهِ فليطَوِّلْ مَا شَاءَ " (1) .

ولمَّا جَاءَ الفِصْلُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى بِعَجْزِ الجَنِّ وَ الْإِنْسِ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ ، أَوْ بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ كَانَ مِنَ الْعَجِيبِ أَنْ نَرَى مِنْ حَاحِلِ مَعَارِضَتِهِ ، فَلَمْ يَجِدْ إِلَّا قِصَارَ السُّورِ لِيَأْتِيَ بِمِثْلِهَا لِيُبدِلَ بِذَلِكَ عَلَى عِزِّهِ فِي التَّمَاسِ هَذِهِ الْقِصَارَ وَ تَرَكَ الطَّوَالَ ، فَكَانَتِ الْحِجَّةُ عَلَيْهِ لَا لَهُ ؛ إِذْ طَلَبَ الْقَاصِرَ فَلَمْ يَتَأْتْ لَهُ ، فَكَيْفَ بِهِ لَوْ طَلَبَ الطَّوِيلَ ؟

وَ كَمَا كَانَتِ قِصَارَ السُّورِ مَظْهَرًا مِنْ مَظَاهِرِ تَيْسِيرِ لُغَةِ الْخُطَابِ الْقُرْآنِيِّ ، كَانَتِ قِصَارَ الْآيَاتِ كَذَلِكَ ، فَمِنْ هَذِهِ الْآيَاتِ أَحْرَفَ قَلِيلَةً عَدَّتْهَا حُرُوفًا ، وَ هَذِهِ أَقْصَرُ مَا تَكُونُ ، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ حَمَّ ۙ ﴾ غَافِرٌ : 1 .

ثُمَّ يَزِيدُ عِدْدَ أَحْرَفِ الْآيَاتِ لِيُصَلَّ إِلَى (565) حُرُوفًا فِي أَطْوَلِ آيَاتِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ، وَ هِيَ آيَةُ الدِّينِ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ ، وَ هِيَ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينِ الْإِلَهِ أَجَلٍ مُسَمًّى فَآكُتُبُوهُ وَ لِيَكْتُبَ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَ لَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَ لِيُمَلِّلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَ لِيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَ لَا يَبْخَسَ مِنْهُ شَيْئًا فَإِن كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمَلِّلَ هُوَ فَلْيُمَلِّلْ وَلِيُهِ بِالْعَدْلِ وَ اسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَ امْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى وَ لَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَ لَا تَسْمَعُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰ أَجَلِهِ ذَٰلِكُمْ أَمْسِطُ عِنْدَ اللَّهِ وَ أَقَوْمٌ لِلشَّهَادَةِ وَ أَدْنَىٰ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجْدَةً حَاضِرَةً

1 . البخاري، الصحيح، ج:1: 180.

تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُمُوهَا وَأَشْهَدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا

شَهِيدٌ وَإِنْ تَفَعَّلُوا فَإِنَّهُ فَسُوقٌ بِكُمْ وَأَتَمُّوا اللَّهَ وَيَعْلَمِ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ

عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾ البقرة : 282 .

و لا شك أنّ قصر هذه الآيات له أثر في تعلّم القرآن الكريم و تعليمه ، خاصّة للمبتدئين كالأطفال ، و الأعاجم ، و الشيوخ ، و بطيئي التعلّم ، إذ يسهل عليهم قراءة هذه الآيات القصيرة ، كما يسهل عليهم حفظها ، و معرفة معانيها لقلّة كلماتها .

أمّا السور و الآيات الطويلة فإنّ المتعلّم يصل إليها بعد أن يمرّ بالقصار من السور و الآيات و قد تدرب على القراءة ، و نشط في معرفة الأسلوب القرآني الكريم ، و آن له أن يمهر قراءة القرآن بعدما كان يتتعتع فيها ، و قد رغب النبيّ صلّى الله عليه و سلّم في قراءة القرآن و إن كان القارئ مبتدئاً يتلعثم في قراءته ، فإنّه لا بدّ له مع المصابرة و المتابعة أن يصبح ماهراً في قراءة القرآن الكريم و تدبّر آياته ، يقول النبيّ صلّى الله عليه و سلّم : " الماهر بالقرآن مع السّفرة الكرام البررة . و الذي يقرأ القرآن و يتتعتع فيه و هو عليه شاقّ له أجران " (1).

¹ . مسلم، المختصر، ص 129.

المظهر الرابع : التنقيط و التشكيل .

بدأت جهود تيسير اللّغة حفاظا على لغة القرآن الكريم أن يناله شيء من اللّحن أو التّحريف . فقد كانت الكتابة في صدر الإسلام و قبله بحروف عارية من الإعجام و الشّكل ، و لم يكن يصعب على القارئ في ذلك الزّمان القراءة بحروف مهملة لسلامة سليقتهم ، و عصمتهم من اللّحن . ولما فشا اللّحن في اللّسان العربيّ ، حتّى طال القرآن الكريم ، كانت الحاجة إلى وضع علامات تيسّر على النّاس قراءة القرآن الكريم بلا لحن ، و كان أبو الأسود الدّؤليّ (ت 68 هـ) من بين من أهمّهم هذا الأمر ، فقد أفرجه انتشار اللّحن في قراءة القرآن الكريم ، و ذلك بعد دخول غير العرب في دين الله تعالى ، و ضرورة تعلّمهم لغة العرب ، إذ لا يصحّ إسلام المرء إلّا بنطق الشّهادتين بلغة العرب ، و قراءة القرآن في الصّلاة الّتي هي ركن من أركان الإسلام الخمسة . كما أفرجه كذلك انتشار اللّحن في لغة العرب حتّى طال أبناء العرب أنفسهم ، و صار يُسمع في كلامهم لغة غير اللّغة الّتي كان عليها آباؤهم و أجدادهم . فنهض و معه ثلّة من علماء العربيّة لعلاج هذا الدّاء قبل أن يفتّ في عضد اللّغة ، و يتركها تموت موتا بطيئا لا حياة بعده .

و تذكر روايات نشأة النّحو أنّ معاوية رضي الله عنه سمع لحنا لعبيدالله بن زياد ، فقال لأبيه زياد و هو والي البصرة يومئذ : أمثل عبيدالله يضيّع ؟ عندها طلب زياد من أبي الأسود الدّؤليّ أن يضع للنّاس شيئا يصلحون به ألسنتهم ، فأبى أبو الأسود . فأرصد زياد على طريق أبي الأسود رجلا و أمره أن يسمعه آية من القرآن يلحن فيها تعمّدا ، فلما مرّ به أبو الأسود قرأ ذلك الرّجل قوله تعالى : ﴿ وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ

الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ ۚ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِيرِ

الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابِ آلِيمٍ ﴿٣﴾ التّوبة : 3 . و خفض حرف اللّام في كلمة (رسوله) ،

فاستعظم أبو الأسود ذلك ، و أجاب زيادا إلى ما طلب ، فاختر كاتباً حاذقاً من بني عبدالقيس ، و قال له : خذ المصحف و صبغاً يخالف لون مداده ، و قال له : إذا رأيتني فتحت شفطيّ فانقط نقطة فوق الحرف ، و إذا ضممتها فاجعل النّقطة بين يدي الحرف ، و إذا كسرتها فاجعل النّقطة أسفل الحرف ، و إن أتبعته شيئاً من هذه الحروف غنةً فانقط نقطتين . ثمّ بدأ بأول المصحف حتّى أتى على آخره .⁽¹⁾

و بهذا الصّنيع من أبي الأسود صار من اليسير على النّاس قراءة القرآن الكريم معرباً دون الخوف من تغيير حركات ألفاظه بعد أن ضبطت حروفه ضبطاً تامّاً لا مكان فيه للّحن الذي أفض مضاجع العامّة ، و أخرج مقامات الخاصّة . و على الرّغم من كراهة بعض علماء الصّدر الأوّل كالنّخعيّ (ت 96 هـ) ، و الشّعبيّ (ت 105 هـ) لهذا العمل مبالغة في تجريد القرآن الكريم ، إلّا أنّ أكثر العلماء استحبّوا هذا العمل الجليل صيانة للقرآن الكريم من اللّحن . و هذا شأن كلّ جديد ، إذ يكون له في أوّل الأمر من يدفعه ، و يسعى لإبطاله ، ثمّ لا يلبث إلاّ يسيراً حتّى يتبيّن للكارهين منافع الجديد ، و حاجة النّاس إليه ، فيرضوا و يسلموا .

ثمّ توالى جهود تيسير لغة القرآن الكريم في عهد عبدالملك بن مروان ، و استبدل بنقط أبي الأسود الحركات المعروفة إلى اليوم من ضمة ، و فتحة ، و كسرة ، و سكون . و السّبب في ذلك أنّ عبدالملك بن مروان طلب إلى الحجّاج أن يميز الحروف بإعجامها ، فاختر الحجّاج عالمين من علماء اللّغة هما : نصر بن عاصم اللّيثيّ (ت 89 هـ) ، و يحيى بن يعمر العدوانيّ (ت 129 هـ) . فوضعا للحروف نقطة أو نقطتين أو ثلاثاً ، و بقيت الحروف المهملة على حالها . و بذلك انمازت الحروف عن بعضها ، و صار بعدها من اليسير على النّاس تمييز الحروف المتشابهة بهذا النّقط . و مثال ذلك حرف العين ، فإن قيل بالعين المهملة رسمت بهذه

¹ . انظر: أبو بكر الأنباريّ، إيضاح الوقف والابتداء، ص 39-41 .

الصّورة (ع) ، و إن قيل بالعين المعجمة قُصِدَ بذلك حرف الغين و رسم بهذه الصّورة (غ) .
و خوفا من الالتباس بين نقط أبي الأسود و نقط هذين العالمين رُسمت الحركات بصورها المعروفة
اليوم .

و زيادة في تيسير قراءة القرآن الكريم وضع علماء الضّبط بعض العلامات التي تسهل
قراءته . و من ذلك وضع دائرة خالية الوسط (ه) فوق أحد أحرف العلة الثلاثة المزينة رسماً لتدلّ
على زيادة ذلك الحرف فلا ينطق به في الوصل و لا في الوقف ، نحو : ﴿ءَامَنُوا﴾ ،
و ﴿لَا أَدْبَحْنَهُ﴾ ، و ﴿يَأْتِيْدِ﴾ ، و ﴿أُولَئِكَ﴾ .

كما وضعوا حروفا صغيرة لتدلّ على أعيان الحروف المتروكة في خطّ المصاحف
العثمانيّة مع وجوب النّطق بها ، مثل : ﴿ذَلِكَ﴾ ، و ﴿دَاوُدُ﴾ ، و ﴿يَلُؤُنَ﴾ ،
و ﴿إِلَيْهِمْ﴾ ، و ﴿نُجِي﴾ .

المظهر الخامس : أحكام التّجويد .

لقد اعتنى العلماء السّالفون بطريقة نطق الحروف عناية قلّ مثيلها في غير لغة العرب ، و كان من ثمار هذه العناية أنّنا اليوم ننطق الحروف كما كانت تتطق قبل ما يزيد على خمسة عشر قرناً بكلّ صفاتها ، و مخرجها ، و كأنّ الذي ينطق هذا اليوم قد جاء من العصر الذي ولدت فيه تلك الألفاظ .

و لعلّ الخليل بن أحمد الفراهيديّ (ت 170 هـ) من أوائل من درس صفات الحروف و مخرجها ، و وضع الحروف المتشابهة في مجموعات خاصّة لكلّ منها ، و ما ترتيبه لكتابه (العين) إلا دليل على نظر هذا العالم في ذلك .

ثمّ جاء تلميذ الخليل سيبويه (ت 180 هـ) فطوّر فكرة شيخه في التّرتيب الصّوتيّ ، و خالفه في بعض آرائه الصّوتيّة ، و نقل عنه الكثير من الآراء التي كانت حجر الأساس في علم الأصوات من بعد .

و على هدي من آراء هذين العالمين و غيرهما من العلماء الذين أخذوا عنهما هذا العلم كابن جنّي مثلاً ، نشأ علم التّجويد الذي بنى قواعده على تلك الأسس ، و صار علماً من علوم القرآن الكريم . و يعرف أبو عمرو الدّانيّ (ت 444 هـ) علم التّجويد بقوله : " هو إعطاء الحروف حقوقها و ترتيبها و مراتبها ، و ردّ الحرف من حروف المعجم إلى مخرجه و أصله ، و إلحاقه بنظيره و شكله ، و إشباع لفظه ، و تمكين النّطق به على حال صيغته و هيئته من غير إسراف و لا تعسّف ، و لا إفراط و لا تكلف " (1) .

¹ . الدّانيّ، أبو عمرو عثمان بن سعيد(2000). التّحديد في الإتيان و التّجويد، تحقيق: غانم قدّوري الحمد، عمّان: دار عمّار، ص68.

و لعلم التّجويد أثره في تحسين القراءة و تجميلها ، و إخراجها في أعذب جرس يطرق الأذان . و له كذلك أثره في تيسير القراءة و نطق الحروف . فمقصود هذا العلم إعانة القارئ على النّطق الصحيح للحروف بأيسر الطّرق ، و لأجل هذا المقصد نجد تصرّف العرب في لغتهم بما تقتضيه سهولة النّطق ، و لا يضيرهم مخالفة القياس إن كان ذلك المطلب يجلب لهم التّسهيل و التّيسير في الكلام . فنجد بعض العرب يقبلون الحروف عن جهاتها ، ليكون المقلوب أخفّ من الأصل ، كقلب الواو ياء في (موعاد) . كما أنّهم لم يجمعوا بين ساكنين قطّ . و لأجل التّخفيف استعملوا التّرخيم ، و اختلسوا الحركات ، و مالوا إلى الحذف ، و الاختصار ، و الإضمار . يقول الفارابي (ت 350 هـ) واصفا لغة العرب : " و أمّا اللّسان فهو كلام جيران الله في دار الخلد ، و هو المنزّه من بين الألسنة من كلّ نقيصة ، و المعلىّ على كلّ خسيّة ، و المهذب ممّا يهجنّ أو يُستشع . فبنى مباني باين بها جميع اللّغات من إعراب أوجده الله له ، و تأليف بين حركة و سكون حلّاه به ، فلم يجمع بين ساكنين ، أو متحرّكين متضادّين . و لم يلاق بين حرفين لا يأتلفان ، و لا يعذب النّطق بهما ، أو يشنع ذلك منهما في جرس النّغمة ، و حسّ السّمع ، كالعين مع الحاء ، و القاف مع الكاف ، و الحرف المطبق مع غير المطبق ، مثل تاء الافتعال مع الصّاد و الضّاد في أخوات لهما ، و الواو السّاكنة مع الكسرة قبلها ، و الياء السّاكنة مع الضّمّة قبلها " (1) .

¹ . الفارابيّ، أبو إبراهيم إسحق بن إبراهيم (1974)، ديوان الأدب، تحقيق: أحمد مختار عمر، القاهرة: مجمع اللّغة العربيّة، ص 72.

لهذا كانت عناية العلماء بعلم التّجويد لما لهذه اللّغة من سهولة في التّصرّف في مبانيها

التي تخدم تيسير قراءة القرآن الكريم . و من مظاهر ذلك :

1. الإدغام : و يجاء به لتيسير الانتقال من نطق الحروف المتقاربة في المخرج المتتالية في

اللفظ ، و يشترط في الإدغام أن يكون الحرف الأوّل ساكنا ، و التّالي له متحرّكا ، ليصيرا في

اللفظ حرفا واحدا مشدّدا ، ذلك لأنّ الانتقال من الساكن إلى المتحرّك في الحروف المتقاربة في

المخرج يشقّ على المتكلّم دون إدغام أولهما بالآخر ، و لتسهيل ذلك عرف في علم التّجويد حكم

الإدغام ، و هو في القرآن الكريم على أشكال متعدّدة ، منها :

* إدغام المتماثلين : و هما حرفان متتاليان متّحذان في المخرج و الصّفة ، فيكون من اليسير

النّطق بهما حرفا واحدا مشدّدا ، كما في قوله تعالى :

﴿ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ ﴾ البقرة : 134 . فالقارئ يجد في إدغام الميم الأولى في (لكم) بالميم

الثّانية في (ما) يسرا في النّطق ، و انسيابا لمجرى الكلام ، دون تتعنع أو تقطّع في الصّوت ،

و لو نطق بهما دون إدغام للزمه أن يقطع الكلام لحاجته إلى فتح الشّفتين ثمّ إغلاقهما ، و هذا

يجهد القارئ ، و يحوجه إلى بعض الوقت في النّطق بالساكن ثمّ النّطق بالمتحرّك المماثل له في

المخرج ، و التّالي له في النّطق .

و في قوله تعالى : ﴿ قُلْ لَا يَسْتَوِي ﴾ المائدة : 100 .

و في قوله تعالى : ﴿ أَضْرِبْ بَعْصَكَ ﴾ البقرة : 60 .

و في قوله تعالى : ﴿ وَقَدْ دَخَلُوا ﴾ المائدة : 61 .

و مثل هذا كثير في كتاب الله تعالى .

* إدغام المتقاربين : و هما حرفان تقاربا في المخرج و الصّفة ، فيكون من الأيسر النّطق بهما

مدغمين . كما في قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ ﴾ المرسلات : 20 . و تمثيل ذلك صوتيّا :

(نَخْلُكُم) . و هنا أدغمت القاف بالكاف فلم تظهر في اللفظ .

و في قوله تعالى : ﴿ قُلْ رَبِّ ﴾ المؤمنون : 93 . و رسمها صوتيّا : (قُرْب) .

و في قوله تعالى : ﴿ بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ ﴾ النساء : 158 . و رسمها صوتيّا : (بَرَفَعَهُ اللهُ) .

و في إدغام النّون الساكنة و التّنوين مع حروف كلمة (لم يرو) .

* إدغام المتجانسين : و هما حرفان اتّحدا مخرجا ، و اختلفا صفة . كما في قوله تعالى :

﴿ فَلَمَّا أَثْقَلتْ دَعَوَا اللَّهَ ﴾ الأعراف : 189 . و يكون رسمها صوتيّا : (أَثَقَلَدَعُوا) .

و في قوله تعالى : ﴿ إِذْ هَمَّتْ طَّائِفَتَانِ ﴾ آل عمران : 122 . و رسمها صوتيّا :

(هَمَّطَانِفَتَان) .

و في قوله تعالى : ﴿ أَرْكَبْ مَعَنَا ﴾ هود : 42 . و رسمها صوتيّا : (اركمَعْنَا) .

و في قوله تعالى : ﴿ إِذْ ظَلَمْتُمْ ﴾ الزّخرف : 39 . و رسمها صوتيّا : (إِظْلَمْتُمْ) .

و في قوله تعالى : ﴿ إِذْ ظَلَمُوا ﴾ النساء : 64 . و رسمها صوتيّا : (إِظْلَمُوا) .

و في قوله تعالى : ﴿ فَا حَصَدْتُمْ ﴾ يوسف : 47 . و رسمها الصّوتيّ : (حَصْتُمْ) .

و في قوله تعالى : ﴿ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا ﴾ يونس : 89 . و رسمها الصّوتيّ :

(أُجِيبَدَعْوَتُكُمَا) .

و في قوله تعالى : ﴿ يَلْهَثُ ذَٰلِكَ ﴾ الأعراف : 176 . و رسمها صوتيّا : (يلهذلك) .

2. الإشمام : و هو " إيماء بالشفّتين إلى الحركة بعد إخلاص السّكون للحروف ، فلا يقرع السّمع ، و لذلك لا يعرفه إلاّ البصير ، و يستعمل فيما يُعالج بالشفّتين من الحركات ، و هو الرّفْع و الضمّ لا غير " (1).

و يتجلى أثر الإشمام في الدّلالة على حركة الحرف الذي تبدّلت حركته لعلّة ، كالنّقل الحاصل بسبب توالي ثلاث حركات ليس بينها ساكن . أو لاستئصال الحركة على الحرف ، لذا تميل العرب في كلامها إلى التّسهيل و التّخفيف في مثل هذه الحال . و أمّا النّقل الحاصل بسبب توالي الحركات فكأنّذي نجده في قوله تعالى : ﴿ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَصِحُونَ

﴿ ١١ ﴾ يوسف : 11. فكلمة (تأمّنا) أصلها (تأمّننا) ، و هي فعل مرفوع (تأمّن) أسند إلى ضمير المتكلّمين (نأ) ، و لنقل النّطق بثلاث حركات متتالية على حروف الغنة التي ليس بينها ساكن ، تميل العرب إلى التّخفيف فيسكّنون الحرف الأوّل (تأمّننا) ثمّ يدغمون الحرفين المتماثلين لسكون الأوّل و تحرّك الآخر (تأمّنا) ، و يأتي الإشمام هنا ليدلّ على حركة الحرف الأصليّة و هي الضمّ ، و ذلك بضمّ الشّفّتين دون النّطق بحركة الضمّ ، و كأنّ القارئ قد نطق بنون مضمومة بعدها نون مفتوحة ، لذا لا يُعرف هذا الوجه إلاّ بروية شفّتي القارئ . و لذا يكون الإشمام من باب التّيسير في الوصول إلى أصل الحركة .

و أمّا استئصال الحركة على الحرف فمثاله في قوله تعالى : ﴿ قِيلَ ﴾ ؛ لأنّ الأصل في (قِيلَ) (قُولَ) ، و هو فعل مبنيّ للمجهول استئقلت فيه الكسرة على الواو فنقلت إلى القاف بعد حذف ضمّتها (قَوْلَ) ، ثمّ قلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها ، فصارت قِيلَ . و يؤتى بالإشمام هنا

¹ . الدّاني، التّحديد في الإتيان و التّجويد، ص 170 .

للدلالة على أصل الحركة و هي الضمّة ، و ذلك بضمّ الشّفتين عند النّطق بحرف القاف المكسور ، دون النّطق بالحركة ، فنُرى و لا تُسمع .

يقول أبو عمرو الدّانيّ : " فأما الإشمام في قوله : ﴿ قِيلَ ﴾ و ﴿ سِئَاء ﴾ و نظائرها ،

على مذهب من أشمّ أوله الضمّ دلالة على الأصل ، فحقّه أن يُنحى بكسرة فاء الفعل المنقولة من عينه نحو الضمّة " (1) .

¹. الدّانيّ، التّحديد في الإتقان و التّجويد، ص 97 .

الخاتمة

لا يستطيع أحد من الناس أن يحيط بعلم كتاب الله تعالى . و هذا البحث نظر في شيء يسير من علوم هذا الكتاب العزيز ، و هو مظاهر تيسير الله تعالى للغة القرآن الكريم . و قد حرص الباحث على جمع تلك المظاهر التي تدلّ على يسر لغة القرآن الكريم ، و ظهر في ثنايا هذا البحث الدلائل على ذلك في ألفاظ القرآن الكريم ، و معانيه ، و شكله . و أصبح بمقدور القارئ لهذا البحث أن يميز لغة القرآن الكريم عن لغة العصر الجاهليّ الذي جاء القرآن الكريم في زمانه . كما حاول الباحث التّدليل على يسر لغة القرآن الكريم من خلال النّظر في شكل القرآن الكريم الذي لم ير له مثيل في حياة العرب آنذاك ، فما هو بالشّعر و لا بالنثر ، و إنّما هو قرآن كريم .

و يعدّ النّصّ القرآنيّ الأصل الأوّل من نصوص الاحتجاج اللّغويّ و النّحويّ ، و هو في المرتبة الأولى من مراتب الفصاحة و البلاغة العربيّة ، و ما كان من مولّدي الشّعراء و الأدباء إلّا أن نهجوا سبيل القرآن الكريم في أسلوبه ، و لفظه ، و بلاغته ، فارتفعوا به . و في أيّامنا هذه نوصي كلّ أديب و شاعر أن ينهل من هذا المعين الذي لا ينضب ، و أن يحاكي لغة القرآن الكريم و أسلوبه ، ليُدْرَج في مراتب الفصاحة و البلاغة . و لا يكون ذلك إلّا بقراءة هذا الكتاب العزيز مرارا و تكرارا طلبا للثواب .

و من هذا البحث يمكن التّمييز بين لغة الخطاب الغامض ، و لغة الخطاب الميسّر ، و أثر الأخير في إصابة الغاية من الخطاب .

كما ظهر لنا في هذا البحث أنّ البلاغة و الفصاحة لا يعنيان التّغريب في الكلام ، و المجيء بالتّأدّر و الوحشيّ منه ، بل إنّ اللفظ السّهّل المأنوس إذا سُبِكَ سبكا رقيقا كان أدعى إلى القبول عند عامّة الناس و خاصّتهم من اللفظ التّأدّر الوحشيّ .

و قد تبين لنا أيضا فضل القرآن الكريم على اللغة العربية من جوانب متعددة ، منها :

- فضل القرآن الكريم في حفظ اللغة العربية الفصيحة من الضياع و التغيير .
- فضل القرآن الكريم في توحيد لغة العرب ، و استبدال اللغة الفصيحة المشتركة باللغات المذمومة.

- فضل القرآن الكريم في تسهيل لغة الخطاب .
- فضل القرآن الكريم في نشوء علوم اللغة العربية المتعددة .
- فضل القرآن الكريم في نشوء علم التجويد الذي كان له الفضل على علم الأصوات ، و أثره في تقويم اللسان ، و أمراض النطق .
- و قد عالج هذا البحث مظاهر التيسير اللغوي ، و لم يبحث في مظاهر التيسير النحوي ، و لا الصرفي . و كلا هذين المظهرين يمكن البحث فيهما لمن أراد إلى ذلك سبيلا ، و لن يعدم الباحث أن يجد في شواهد القرآن الكريم ما يدل على تيسير الله تعالى على الناس في هذين المجالين . و الله ولي التوفيق .

المصادر و المراجع

- القرآن الكريم.
- ابن الأثير، ضياء الدين أبو الفتح نصرالله بن أبي الكرم(1964). المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر، تحقيق: أحمد الحوفي و بدويّ طبانة، القاهرة: دار نهضة مصر.
- الأعرابي، أبو مسحل عبدالوهاب بن حريش(1961). النوادر، تحقيق: عزّة حسن، دمشق: مجمع اللغة العربيّة.
- الأعرابي، ميمون بن قيس(1980). ديوان الأعشى، تحقيق: فوزي عطوي، بيروت: دار صعب.
- الأفغاني، سعيد بن محمّد(1994). في أصول النحو، دمشق: مديرية الكتب و المطبوعات الجامعيّة .
- الأكوع، خالد بن أحمد(2007). أثر الإسلام في التوحيد اللغوي، (رسالة ماجستير غير منشورة)، جامعة أمّ القرى، السّعوديّة.
- امرؤ القيس، ابن حُجر بن الحارث(ب.ت). ديوان امرئ القيس، تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم، ط5 ، القاهرة: دار المعارف.
- الأنباري، أبو بكر محمّد بن القاسم(1971). كتاب إيضاح الوقف و الابتداء في كتاب الله عزّ و جلّ، تحقيق: محيي الدين عبدالرحمن رمضان، دمشق: مجمع اللغة العربيّة.
- الأنصاري، أبو زيد سعيد بن أوس بن ثابت(1981). النوادر في اللّغة، تحقيق: محمّد عبدالقادر أحمد، بيروت: دار الشّروق.
- الباقلاّني، أبو بكر محمّد بن الطيّب(ب . ت). إعجاز القرآن، تحقيق: أحمد صقر، القاهرة: دار المعارف.

- البخاريّ، أبو عبدالله محمّد بن إسماعيل (ب . ت .). صحیح البخاريّ، بيروت: دار إحياء التّراث العربيّ.
- البستانيّ، المعلم بطرس (1876). دائرة المعارف، بيروت: (ب . ن).
- بشر، كمال (1997). علم اللّغة الاجتماعيّ، ط3، القاهرة: دار غريب للطباعة و النّشر.
- البغداديّ، عبدالقادر بن عمر (1997). خزنة الأدب و لب لباب لسان العرب، تحقيق: عبدالسلام هارون، ط4، القاهرة: مكتبة الخانجي.
- البيهقيّ، أبو بكر أحمد بن الحسين (1999). الاعتقاد و الهداية إلى سبيل الرّشاد، تحقيق: أحمد أبو العينين، الرّياض: دار الفضيلة.
- تأبّط شرّاً، ثابت بن جابر (1999). ديوان تأبّط شرّاً و أخباره، تحقيق: علي ذو الفقار شاكر، ط2، بيروت: دار الغرب الإسلاميّ.
- التّرمذيّ، أبو عيسى محمّد بن عيسى (1996). سنن التّرمذيّ (الجامع الكبير)، تحقيق: بشّار عوّاد معروف، بيروت: دار الغرب الإسلاميّ.
- أبو تمام، حبيب بن أوس الطّائيّ (1981). شرح ديوان أبي تمام، شرح: إيليا الحاوي، بيروت: دار الكتاب اللّبنانيّ.
- ابن تيمية، أبو العباس أحمد بن عبدالحليم (1995). مجموع الفتاوى، المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشّريف.
- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، أ. (ب . ت). البيان و التّبیین، بيروت: دار الكتب العلميّة.
- ب. (1965). الحيوان، تحقيق: عبدالسلام هارون، ط2، القاهرة: شركة و مطبعة مصطفى البابي الحلبي و أولاده.

- ابن الجزريّ، أبو الخير محمّد بن محمّد (ب . ت). **النّشر في القراءات العشر**، تحقيق: عليّ محمّد الضّبّاع، بيروت: دار الكتب العلميّة.
- ابن جنّي، أبو الفتح عثمان،
أ. (1990). **الخصائص**، تحقيق: محمّد عليّ النّجار، بغداد: دار الشؤون الثقافيّة العامّة.
- ب. (1994). **المحتسب في تبين وجوه شواذّ القراءات والإيضاح عنها**، تحقيق: عليّ النّجديّ وعبدالفتّاح شلبيّ وعبدالحليم النّجار، القاهرة: وزارة الأوقاف.
- الجواليقي، أبو منصور موهوب بن أحمد (1969). **المعرّب من الكلام الأعجميّ على حروف المعجم**، تحقيق: أحمد شاكر، ط 2، القاهرة: مطبعة دار الكتب.
- الحاكم، أبو عبدالله محمّد بن عبدالله النّيسابوريّ (2002). **المستدرک على الصّحیحين**، تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا، ط 2، بيروت: دار الكتب العلميّة.
- ابن خلدون، وليّ الدّین عبدالرحمن بن محمّد (2004). **مقدّمة ابن خلدون**، تحقيق: عبدالله محمّد الدّرويش، دمشق: دار يعرب.
- الدّانيّ، أبو عمرو عثمان بن سعيد (2000). **التّحديد في الإتقان و التّجويد**، تحقيق: غانم قدّوريّ الحمد، عمّان: دار عمّار.
- أبو داود، سليمان بن الأشعث السّجستانيّ (1997). **سنن أبي داود**، بيروت: دار ابن حزم.
- ابن دريد، أبو بكر محمّد بن الحسن (1987). **جمهرة اللّغة**، تحقيق: رمزيّ منير بعلبكيّ، بيروت: دار العلم للملايين.
- بني دومي، خالد قاسم (1999). **التّكرار اللفظيّ في لغة الحوار القرآنيّ**، (رسالة ماجستير غير منشورة)، جامعة اليرموك، إربد، الأردنّ.
- الرّافعيّ، مصطفى صادق (2005). **تاريخ آداب العرب**، بيروت: دار الكتاب العربيّ.

- الرّمانيّ ، أبو الحسن عليّ بن عيسى (ب . ت). ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق: محمّد خلف الله أحمد و محمّد زغلول سلّام، ط 3، القاهرة: دار المعارف.
- الرّويّليّ، ميجان، و البازعيّ، سعد(2000). دليل النّاقّد الأدبيّ، ط 2، الدّار البيضاء: المركز النّقّافيّ العربيّ.
- الرّزقانيّ، محمّد عبدالعظيم(1999). مناهل العرفان في علوم القرآن، بيروت: دار المعرفة.
- الرّزكشيّ، بدرالدّين محمّد بن عبدالله(1990). البرهان في علوم القرآن، تحقيق: يوسف المرعشليّ، و جمال الدّهبيّ، و إبراهيم الكرديّ، بيروت: دار المعرفة.
- ابن السّكّيت، أبو يوسف يعقوب بن إسحق(1949). إصلاح المنطق، تحقيق: أحمد شاكر و عبدالسّلام هارون، ط 4، القاهرة: دار المعارف.
- سلطانيّ، نعمان(2006). الكشف اللّغويّ عن التّعّدّد اللّهجيّ في لغة القرآن الكريم، (رسالة ماجستير غير منشورة)، جامعة الجزائر، الجزائر.
- أبو سلمى، كعب بن زهير(1994). ديوان كعب بن زهير، بيروت: دار الكتاب العربيّ.
- سليمان، فتح الله أحمد(2008). الأسلوبية: مدخل نظريّ و دراسة تطبيقية، القاهرة: مكتبة الآداب.
- ابن سنان، أبو محمّد عبدالله بن سعيد الخفاجيّ(2006). سرّ الفصاحة، فهرسة: داود غطاشة، عمّان: دار الفكر.

- السيوطي، أبو الفضل عبدالرحمن بن الكمال بن محمد،
أ. (2005). **الإتقان في علوم القرآن**، تحقيق مركز الدراسات القرآنية، المدينة المنورة:
مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.
- ب. (ب . ت). **المزهر في علوم اللغة و أنواعها**، تحقيق: محمد جاد المولى و محمد أبو
الفضل إبراهيم و علي الجاوي، القاهرة: دار الفكر.
- سيويوه، أبو بشر عمرو بن عثمان (1988). **الكتاب**، تحقيق: عبدالسلام هارون، ط 3،
القاهرة: مكتبة الخانجي.
- الشريعة، رياض مفضلي (2006). **المشكل و أثره في منهج فهم القرآن الكريم**،
(رسالة ماجستير غير منشورة)، جامعة آل البيت، المفرق، الأردن.
- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (2004). **جامع البيان في تأويل القرآن**، تحقيق: هاني
الحاج و عماد البارودي وخيري سعيد، القاهرة: المكتبة التوفيقية.
- العبادي، عدي بن زيد (1965). **ديوان عدي بن زيد العبادي**، تحقيق: محمد جبار المعبيد،
بغداد: شركة دار الجمهورية للنشر و الطباعة.
- ابن العبد، طرفة (2000). **ديوان طرفة بن العبد**، تحقيق: درية الخطيب و لطفي الصقال،
ط 2، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات و النشر.
- ابن عبدالبر، أبو عمر يوسف بن عبدالله القرطبي (1967). **التمهيد لما في الموطأ من
المعاني و الأسانيد**، تحقيق: مصطفى العلوي و محمد البكري، المغرب: وزارة عموم
الأوقاف و الشؤون الإسلامية.
- عبدالرحيم، عبدالجليل (1973). **لغة القرآن الكريم**، القاهرة: دار المصطفى للنسخ.
- أبو عبيدة، معمر بن المثنى (ب . ت). **مجاز القرآن**، تحقيق: محمد فؤاد سزكين،
القاهرة: مكتبة الخانجي.

- أبو العتاهية، إسماعيل بن القاسم (1986). ديوان أبي العتاهية، جمع و شرح: كرم البستاني، بيروت: دار بيروت للطباعة و النشر.
- عتيق، عبدالعزيز (ب . ت). علم المعاني - البيان - البديع، بيروت: دار النهضة العربية.
- العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر،
أ. (1989). التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، تحقيق الشيخين:
عادل عبدالموجود، و علي معوض، بيروت: دار الكتب العلمية.
- ب. (2004). فتح الباري شرح صحيح البخاري، تحقيق: عبدالعزيز بن باز و محمد
فؤاد، بيروت: دار الكتب العلمية.
- العسكري، أبو هلال الحسن بن عبدالله (1952). الصناعتين: الكتابة و الشعر، تحقيق:
علي البجاوي و محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة: دار إحياء الكتب العربية.
- ابن العجاج، رؤبة (1996). مجموع أشعار العرب، تصحيح و ترتيب: وليم بن الورد،
الكويت: دار ابن قتيبة.
- الفارابي، أبو إبراهيم إسحق بن إبراهيم (1974). ديوان الأدب، تحقيق: أحمد مختار عمر،
القاهرة: مجمع اللغة العربية.
- ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس (1997). الصحاح في فقه اللغة العربية ومسائلها
و سنن العرب في كلامها، تحقيق: أحمد حسن بسج ، بيروت: دار الكتب العلمية.
- القالي، أبو علي إسماعيل بن القاسم (1987). الأمالي، ط 2، بيروت: دار الجيل.
- ابن قتيبة، أبو محمد عبدالله بن مسلم (1973). تأويل مشكل القرآن، شرح: السيد أحمد
صقر، ط 2 ، القاهرة: مكتبة دار التراث.
- القرطبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد (1996). الجامع لأحكام القرآن، ط 5، بيروت: دار
الكتب العلمية.

- القزويني، أبو عبدالله محمد بن سعد الدين الخطيب (1998). الإيضاح في علوم البلاغة (مختصر تلخيص المفتاح)، راجعه: بهيج غزّوي، ط 4، بيروت: دار إحياء العلوم.
- قطب، سيد (1988). التصوير الفني في القرآن، ط 10، القاهرة: دار الشروق.
- القفطي، أبو الحسن علي بن يوسف جمال الدين (1986). إنباه الرواة على أنباه النحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة: دار الفكر العربي.
- القيرواني، أبو علي الحسن بن رشيق (1981). العمدة في محاسن الشعر و آدابه و نقده، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، ط 5، دمشق: دار الجيل.
- ابن كثير، أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر، أ. (1978). البداية و النهاية، بيروت: دار الفكر. ب. (ب . ت). تفسير القرآن العظيم، الإسكندرية: دار البصيرة .
- المتنبي، أبو الطيب أحمد بن الحسين (1978). ديوان إبي الطيب المتنبي، تقديم: عبدالوهاب عزّام، بيروت: دار الزهراء.
- ابن مجاهد، أبو بكر أحمد بن موسى التميمي (ب.ت). كتاب السبعة في القراءات، تحقيق: شوقي ضيف، القاهرة: دار المعارف.
- المرزباني، أبو عبدالله محمد بن عمران (1995). الموشح في مأخذ العلماء على الشعراء، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، بيروت: دار الكتب العلمية.
- مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج (1987). مختصر صحيح مسلم، بيروت: دار ومكتبة الهلال.
- مكرم، عبدالعال سالم (1995). اللغة العربية في رحاب القرآن الكريم، القاهرة: عالم الكتب.
- ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم (ب . ت). لسان العرب، بيروت: دار صابر.

- النَّابِغَةُ، أبو أمامة زياد بن معاوية الذَّبْيَانِيّ (1996). ديوان النَّابِغَةُ الذَّبْيَانِيّ، شرح: عبّاس عبدالسّاتر، ط 3، بيروت: دار الكتب العلميّة .
- النَّحّاس، أبو جعفر أحمد بن محمّد،
 أ. (1992). القَطْع و الانتِاف، تحقيق: عبدالرحمن المطروديّ، الرّياض: دار عالم الكتب.
- ب. (2008). إعراب القرآن، تحقيق الشّيخ خالد العليّ، ط2، بيروت: دار المعرفة.
- النَّوويّ، أبو زكريّا يحيى بن شرف،
 أ. (1991). التّبْيَان في آداب حملة القرآن، تحقيق: بشير محمّد عيون، دمشق: مكتبة دار البيان.
- ب. (1991). رياض الصّالحين من كلام سيّد المرسلين، تحقيق: عبدالعزيز رباح و أحمد الدّقّاق، الرّياض: مكتبة دار السّلام.